الحريرى ومقاماته

تأليف

كلثوم سلام الحسيني

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية
في الجامعة الاميركية ببيروت
لنيل درجة ماجستير في
الآداب

تشرين الاول ١٩٦٢

تمهيـــــــــــد

ان عوامل عدة دفعتنا الى الاهتمام بهذا الموضوع ، ولربما كان ابرزها الرواج الذى اصابته المقامات الحريرية في القرن المنصرم ، وفي مطلع هــذا القرن ، وانصراف الادباء من عـــرب ومستشرقين الى دراستها وبحثها وترجمتها وشرحها هنيا بعد حين .

ولعل في تعقيد اسلوب الحريرى ضربا من الصعوبة نبهت في الفضول الى تدارسه ، بعـد ان صدف الناس عن غريب اللفظ واعتصموا بقريبه ،وطغت الاساليب الصحفية على اصالة البيان العربـي . ثم ان في المقامات خصائص ادبيـة أخرغير هذا الجانب اللغوى الغزير ،وغير هذا الاستقصاء فـــي استنفاد المفردات وتقليب وجوه البديع والصياغة المركبة ، ففيها النفحة القصصية ،والنكتة الادبية ،والروح المرح ، واللقايا الشعرية ، وفيها الى هذا كله ، ما يمثل النثر العربي بعد تطوره ، عند مرحلة مـــن مراحله ،يوم آذن بالأفول ، وانصبّ في قوالب حددته خلال عصور الانحطاط جملة .

وأتقدم بخالص شكرى من كرام الاساتذة الدكتور جبرائيل جبور ، والدكتور محمد نجم ،والدكتور كمال اليازجي ، والدكتور خليل حاوى ، والدكتور انيس فريحة . وأتوجه بالشكر العميق الى استاذى الدكتور انطون كرم الذى تكرم بالاشراف على اعداد هذه الرسالة ، ووجه البحث والخطى ، وعسى ان أكـــون ضربت بفضلهم جميعا من بعض الحق بنصيب ، وأن يكون الزلل العارض الذى وقعت فيه سبيلا الى بلـوغ الأحسن .

الحريـــــــــرى ومقاماتـــــــــه

موجـــــز البحـــــــث

موجز البحث

تشتمل الرسالة على مقدمة وستة ابواب رئيسية . وقد عرضنا في المقدمة سراعا للحالة السياسية ،والاجتماعية ، والأدبية في بغداد وفارس والبصرة في تلك الحقبة من الدهر ، مقتصرين على أهم النواحي ،تفاديا لايراد شؤون شائعة ، قد لا يجتني الطالب منها فائدة . اما الابواب الستة فقد رتبناها على الصيغة التالية :

الباب الاول : مدخل الى دراسة الحريرى ومقاماته :

ضمنا هذا الباب بحثا فيلولوجيا يتعلق بأصل لفظة "مقامة" ، وقد حاولنا ان نكشف ما تيسر عن تطور مدلولها . ونظرنا في نشأة المقامة نفسها ،وأهم الكتاب الذين عالجوا هذا الفن .

الباب الثاني : الحريري

ثم عرضنا لترجمة الحريرى وفقا لما عثرنا عليه في فطان سيرته من الاصول القديمة ، ولم يتح لنا ضئيل ما اشتملت عليه ان نتتبع حياة الحريرى بدقة التفصيل ، لنستقصي حوادثها ،وتكوين ثقافته ،وراجعنا في هذا الباب ايضا مؤلفات الحريرى من مطبوع ومخطوط . وأعرضنا عن البحث المسهب في تمييز ما بين ابن الحريرى ــ كما سماه ابن الخشاب ــ وبين الحريرى ــ كما جاء في وفيات الاعيان ــ اذ الرجل المقصود واحد ، ولم نر مجالا لدفع الالتباس .

الباب الثالث : مقامات الحريري

يقع هذا الباب في أربعة اقسام هامة ، وهي بمثابة مركز الثقل في دراستنا :

فاوردنا في القسم الاول الاسباب التي حدت الحريري على تأليف مقاماته ، ثم راجعنا تاريخ تأليفها ،والشك في نسبتها .

وعرضنا لمضمون المقامات ومناحيها ،فقسمناها وفقا لاتجاهاتها فاذا هي واقعة في اربعة اتجاهات : المقامات الاخلاقية ،والأدبية ، والاجتماعية ،واللغوية . وحرصنا على ان نورد موجزا لكل منها ، ليستقيم للقارئ هذا الوجه الوضعي الأولي . وقصرنا القسم الثالث على درس المقامات من حيث هي انتاج أدبي .

وجعلناه ثمانية فصول مرتبة على الوجه التالي :

١ ـ الاشخاص ـ واقتصرنا منها على تحليل شخصيتي الراوية وبطل المقامات .

٢ ـ الأحداث ـ فذكرنا قيمة الحدث في تكوين المقامة ، وتوفره او عدم توفره فيها .

٣ ـ العقدة ـ بحثنا أهمية هذا العنصر في المقامة ، ونصيب الحريري من النجاح فيه او قصوره عنه .

٤ ـ تطور الزمن الداخلي ـ وأشرنا الى اهمية تطور الزمن الداخلي عامة ، ثم في المقامة بخاصة .

٥ ـ المقامة من حيث هي فن قصصي ـ ورأينا ان نوازن بموازنة عاجلة ما بين الفن القصصي عامة وفن المقامة ،نظرا لما أثير في النقد الحديث حول هذا الموضوع .

٦ — الفكاهـــة — وهي من أهم العناصر المحركة في المقامة ، فحاولنـــا ان نعيرها بعض الاهتمام .

المقامات المصورة

٧ — التصوير الفني — وهذا باب في المقامات طريف ، فقليلون هم الذيـــن عنوا بدرس هذا الوجه من مقامات الحريـــرى .

٨ — الاسلـــوب — وقد تطرق لهذا المنحى معظم الدارسين في كلامهـــم على الحريرى . وبعد حديثنا عن نثر الحريرى ، أوردنـــا بابا آخر في البحث عن المظهر الشعرى في المقامات ، وهذا باب قلما حفل به الباحثون لجليل عنايتهم بنثره وصيـــغ اسلوبه .

الباب الرابع — <u>الحريرى بين الانصار والخصوم</u>

أوردنا بعض اعتراضات ابن الخشاب على المقامات ، واثبتنا ردود ابن برى عليها ، وهو الذى رد سهام الاعتراض . وهذا باب أغفله بعض الكتاب ، وعني به المستشرقون ايما عناية .

الباب الخامس — <u>في شراح المقامـــات</u>

أحصينا في هذا الباب الشراح الذين شرحوا المقامات ، ثم ألمعنا الى تفضيل بعـــض هذى الشروح على بعض .

الباب السادس — <u>في استمرار هذا الفن</u>

واختتمنا بأسماء المعنيين بهذا الفن الادبي من عرب واجانب ، ممن قلدوا الحريرى ، فساروا على نهجه ، او صرفوا الهمّ في تعميم مقاماته شرحا وتعليقا وترجمة .

فهـرســــــت

صفحـــة

الحريري ومقاماته

الباب الأول

مدخل الي دراسة الحريري ومقاماته

أ ـ الحياة السياسية ـ الاجتماعية ـ الأدبية

من أهم الظواهر التي تبدو لدارس القرن الخامس للهجرة ، الحادى عشر للميلاد ظاهرة تفكك الدولة الاسلامية ، وتأثرها بالعنصرين الفارسي والتركي . وقد رأينا ان نحصرها في ما هو عالق بين ولادة الحريرى ووفاته ، أى بين سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م وسنة ٥١٦ هـ/١١٢٤م وان نلم بملامح الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية ، على نحو ما اتصفت به البصرة بخاصة. الا أنه في سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، دخل طغرل بك السلجوقي [1] بغداد وخضد شوكة بني بويه ، وكان آخر أمرائهم في العراق الملك الرحيم (٤٤٠/١٠٤٨ ـ ٤٤٧ / ١٠٥٥) وقد قضى سجينا . [2]

---

(١) طغرل بك ـ الحاكم السلجوقي ـ ولد عام ١١٠٩/٥٠٣ ، وكان ولي أمره الامير شيرغير وعندما توفى أبوه عام ١١١٧/٥١١ ، سجن شيرغير وحل محله الامير كندخذى الذى كان ذا علاقات سيئة والأمير محمود ، أخي طغرل . وفي عام ١١٣٠/٥٢٥ توفى محمود وارتقى العرش ابنه داوود حتى يعتمد على وريث . اتفق على طغرل وفي الوقت نفسه طالب الأخ الثالث مسعود بالعرش ، وتقدم وعنده قوى عظيمة من الجيش فوقعت بينه وبين السلطان سنجر معركة دينوار عام ١١٣١/٥٢٦ كان النصر فيها حليف سنجر ، وعلى أثرها تولى طغرل السلطان ولكن طغرل لم يعارض أخاه وذهب الي طبرستان حيث قضى شتاء عام ٥٢٨ ـ ٥٢٩/ ١١٣٣ ـ ١١٣٤ . وفي العام التالي احتل طغرل همذان ، ولكن حين وصوله اصابه مغص مؤلم توفى على أثره في أوائل عام ١١٣٤/٥٢٩ ، أما أرملته فتزوجت الدجيز الذى اهتم بارسلان ، ابن طغرل ، ورفعه الي العرش السلجوقي عام ١١٦٠/٥٥٥.

(Houtsma M. - Encyclopedia of Islam 4:827)

(هوتسما . م ، الموسوعة الاسلامية ٤ : ٨٢٧ سنة ١٩٣٤

(٢) حتي فيليب ـ تاريخ العرب المطول ٢ : ٥٥٤

وقد أشـــار المستشرق متز (١) الي التفكك الذى منيت به الدولة الاسلامية في تلك الحقبة ، والي خضوع البلاد لسيطرة حكام مختلفين منه التأثير التركي على حد ما يصفـــه (ده موبين) (٢) بأنه لم ينحصر في بغداد ، وانما تعدّاها الي الانحاء العربية الأخـــر (٣) .

ويبدو ان شمالي ســورية والجزيرة العراقية قد آل أمرهما الي أيدى زعمـــاء من الثائرين العرب نجح بعضهـــم في تأسيس دولة قوية . ثم ان فارس وما وراء النهر والأراضـــي الواقعة في الشرق والجنوب قد تقاسمها بنو بويه وامراء غزنه ، وامتلكهـــا حكام مختلفون يترقب كل منهم الفرصـــة للفتك بمنافســـه ، حتى عمّت الفوضى السياسية والعسكرية جميع الانحاء . وتفاقم الخطب بين الشـــيعة والســـنة بحيث خيـــل للناظـــر ان دولـــة الاســـلام في طور النزاع الأخير . ومنه النفـــوذ السلجوقـــي الذى يبدو جليـــا بعد زوال الحكـــم البويهي ، وبعد مصاهـــرة عقدت ما بـــين البيتين العباســـي والسلجوقي . وجـــاء :

---

(١) متز آدم – " الحضاره الاســلامية في القرن الرابـع الهجرى ١ : ١

(٢) Demombynes G. "Le Monde Musulman et Byzantin jusq'aux Croisades" 2: 302

(٣) انظر حتي فيليب – تاريخ العرب المطول ٢ : ٥٥٧

" ان بغداد قد سادتها الغوضى زمن البويهيين ،ولم تستقر الأحوال فيها الا عند ما وزر ابن المسلمة للخليفة القائم بأمر الله فطلب العون من طغرل بك السلجوقي . فما أن حلّت سنة ١٠٤١/٤٣٣ حتى غدا أميرا على جرجان ، ثم أخضع طبرستان ، وقطاعات من بلاد فارس الحديثة . وفي خطبة للخليفة ببغداد ترقى الي رمضان سنة ١٠٥٥/٤٤٧ (أى عام واحد بعد ولادة الحريرى) جاء فيها على ذكر طغرل بك فسماه ملك المشرق والمغرب في محفل عام ١٠٥٧/٤٤٩ . وكان الخليفة قد تزوج في ذلك الوقت ابنة جفرى بك أخي طغرل ، واعترف العراق بأسره بسيادة سلطان السلاجقة ". (١)

وكان ثمة نفوذ ثالث هو النفوذ الفارسي ، وقد ذكر براون ما هو متعلق بهذه الحقبة ،قال ما ترجمته :

" في حدود أواخر القرن العاشر ميلادى ، كانت فارس مقسومة بين السامانيين (العاصمة بخارى) والبويهيين ، وقد امتد سلطانهم على الامارات الجنوبية غربية ، وعلى بغداد نفسها ، وكان الخليفة في امرتهم . والظاهر ان هذه الامارات جميعا كانت ايرانية الاصل (فارسية أوكردية) ولم يلقب أى من حكامها بلقب سلطان فاكتفوا بلقب أمير أو مليك " . (٢)

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ٢٤ ، وانظر حتي - تاريخ العرب المطول ٢ : ٥٦٩ .

(٢) Browne E.G- "A Literary History of Persia" 2:90

وقد عنينا بالبصـرة لكونهـا البلدة التي سـلخ فيها الحريـرى ردحـا من حياتـه . وفي قول الحريرى نفسـه ما يشف عن واقعها في زمانه ، قال :

" يا أهل البصـرة رعاكم الله ، ووقاكم ، وقوّى تقواكم ، فما أضوع رياكم ، وأفضـل مزاياكم ، بلدكم أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة ، وأفسحها رقعة ، وأمرعها نجعـة ، وأقومهـا قبلة ، وأوسعها دجلة ، وأكثرها نهرا ونخلة ، وأحسنها تفصيلا وجملة ... (١)

اما بصدد البصرة فلربما سلم التعويـل على فصل عقده خسروه في كتـاب يستخلص منه :

" حينما غادرنا لحسا الي البصره كنّا نجد الماء في بعض الجهات ولا نجده في أخرى حتى بلغنا البصره في العشرين من شعبان سنة ثلاث واربعين واربعمائة (٢٨ ديسمبر ١٠٥١) . للبصرة سـور عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المطل علـى النهـر ، وهذا النهر هو شط العرب ...

والجنوب الغربـي للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقا وكان معظـم البصـرة خرابا ونحن هناك . والجهات العامـرة متباعدة جدا ، من واحدة لأخـرى نصف فرسخ من الخراب ولكن بابها وسورها محكمان وقويان وبها خلق كثير ودخـل سلطانها كبير . كان أميرها في ذلك الوقت ابن أبي كاليجار الديلمي الذى كان ملك فارس وكان وزيره رجلا فارسيا اسمه أبو نصـر شاه مردان . وينصب السوق في بصـرة في ثلاث جهات كل يوم ، ففي الصباح يجرى التبادل في سوق خزاعة ، وفي الظهر في سـوق عثمان ، وفي المغرب في سوق القداحين . والعمل في السوق هكذا : كل من معـه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشترى كل ما يلزمه ، ويحول الثمن على الصـراف فلا يستخدم المشترى شيئا غير صك الصراف طالما يقيم في المدينة .

---

(١) سعد علي — المقامات الادبيـة ص ٤٢٧

وفي البصرة ثلاثة عشر مشهدا باسم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، يقال لاحدها مشهد بني مازن ، وذلك أن أمير المؤمنين عليا صلى الله عليه وسلم جاء الي البصرة في ربيع أول سنة خمس وثلاثين (سبتمبر ٦٥٥) من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وكانت عائشة رضي الله عنها قد أتت محاربة ، وقد تزوج أمير المؤمنين عليه السلام ليلى بنت مسعود النهشلي ، وكان هذا المشهد بيتها ، وقد أقام به أمير المؤمنين اثنين وسبعين يوما ثم رجع الي الكوفة . وبجانب المسجد الجامع مشهد آخر يسمى باب الطيّب ، ورأيت في مسجد البصرة محردا من الخشب طوله ثلاثون ذراعا وسمكه خمسة أشبار وأربعة أصابع ، وكان أحد طرفيه أسمك من الطرف الآخر ، قيل أنه من أخشاب بلاد الهند استولى عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام وأحضره للبصرة . والأحد عشر مشهدا الأخرى كل منها بموضع وقد زرتها كلها .»(١)

ويشير ابن الأثير الي ذكر ثلاث سنوات لثلاث وقائع حدثت بالبصرة ، احداها تقع عام ٤٨٣ هـ/١٠٩٠م ، حينما نهب العرب البصرة وأحرقوا مواضع عدة منها ، داران للكتب ، وعام ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م ، عندما وقعت البصرة في حوزة صدقة (٢) ، وعام ٥١٢هـ/١١١٨م اذ كان صدقة قد استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد ، اسمه التونتاش ، وجعل معه مائة وعشرين فارسا . فاحتشدت بعض القبائل العربية وقصدت البصرة فأسرت

(١) خسرو ناصر "سفرنامة" ص ٩٥ الى ٩٧

(٢) ابو الاغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس ابن علي بن مزيد الأسدي الناشرى الملقب نور الدولة .

ملك العرب ، كان جوادا كريما ، عنده معرفة بالأدب والشعر وتمكن في خلافة الامام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق وهو من بيت كبير . ودبيس المذكور هو الذى عناه الحريري في المقامة التاسعة والثلاثين بقوله " أو الأسدى دبيس " لأنه كان معاصره . ذكر المامونى في تاريخه ان قتله كان على باب تبريز عام ١٥٢٩ و ١٥٤٠ أو ١١٣٥ وقتل على يد السلطان مسعود بن ملكشاه لأمور انكرها واسباب نسبت اليه . (ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٢ : ٣١) راجع ايضا الشريشي شرح المقامات الحريرية ٢ : ٢١٨ وعلام مهدى ، دائرة المعارف الاسلامية ٩ : ١٤١ .

التونتاش وأحرقت الدور والأسواق ونهبت خزانة للكتب . ولما بلغ صدقة الخبر أرسل جندا فوصلوها وقد فارقها العرب . ثم ان السلطان محمد أرسل شحنة وعميدا الي البصرة وأنقذها من صدقة وعاد أهلها اليها وشرعوا في عمارتها . " (١)

أما من الناحية التجارية فنجد ان البصرة كانت مركز الاتصال بالأسواق التجارية لكونها مرفأ للمدن والقرى على دجلة والفرات . وقد أورد المقدسي شيئا عن تجارتها في القرن العاشر ، قال :

" ولا بأس بالتجارات فيها . ألم تسمع بخز البصرة وبزها ، وطرائفها وبارزتها ، هي معدن اللآلئ والجواهر ، وفرضة البحر ومطرح البر ، وبها يصنع الراسخت ، والزنجز ، والمرداسنج ومنها تحمل التمور الي الأطراف ، والحناء ، ولهم خزّ وبنفسج وما ورد " . (٢)

ثم يتابع المقدسي وصفه للبصرة :

" ... وبها ثلاثة جوامع : أحدها في الأسواق بهي ، جليل ، عامر ، آهل ، ليس بالعراق مثله ، على أساطين مبيضة ، وجامع آخر على باب البادية وهو كان القديم ، وآخر على طرف البلدة . وأسواقها ثلاثة : قطع الكلاء على النهر ، وسوق الكبير ، وباب الجامع ، وكل أسواقها حسنة . والبلد أعجب الي من بغداد لرفقها وكثرة الصالحين بها ، وكنت بمجلس جمع فقهاء بغداد ومشايخها فتذاكروا بغداد والبصرة ، فتفرقوا على انه اذا جمعت عمارات بغداد وأندر خرابها لم تكن أكبر من البصرة وحماماتها طيبة ، والأسماك والتمور فيها كثيرة ، وذات خضر وأقطان وألبان وعلوم وتجارات ... " (٣)

وفي مذاهب أهل البصرة فيذكر المقدسي أيضا ما نصه :

" وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة ثم حنابلة (ص ١٣) .. وبالبصرة مجالس وعوام السالمية ، وهم قوم يدعون الكلام والزهد ، وأكثر المذكرين بها لا يتعاطون الفقه فمن تفقه منهم تفقه لمالك " . (٤)

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل ٨ : ١٥٣ــ٢٣١ــ٢٣٤ راجع ايضا Pellat ch: "Le Milieu Basrien et la formation de Gahiz" P; 183 - 222

(٢) المقدسي ــ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٢٩

(٣) المقدسي ــ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١٧ ــ ١١٨

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٦

أما بشـأن الحياة الاجتماعيـة فيرى بعض الدارسـين انه كان هنـالك ثلاث طبقـات :

أولا — طبقة الارستقراطيين من خلفاء ووزراء وتجار وأشراف وكانوا ينفقون المال باسـراف وامتلأت بيوتهـم بالجوارى والغلمان ، وانتشرت مجالس الشراب ، وتفننوا في الصناعات ووضعوا قوانين للظرف .

ثانيـا — الطبقة الوسـطى — كانت ضئيلة الاثر ، قليلة الافـراد .

ثالثـا — الطبقة الفقيرة — عامة الشعب ، بما فيهم العلماء الذين لم يتصلّوا بالخلفـاء " . (١)

وكان للفقـر الذى عانتـه العامة أثـره البعيد ، اذ شاعت طريقة فريدة في الحيلـة لكسـب العيش ، وذلك ان جماعة اتخذوا تارة الأدب وسيلة للاستجـداء ، وطوروا الاحتيال ، والراجح ان أفراد هذه الطائفـة قد كثروا حتى قال فيهم المستشرق بلاشير :

" أما المدن — في الشرقين الادنـى والأوسـط ، ولا سيما بغداد — فيبدو أنهـا أضحت مقرا لطبقـة الفقـراء والمنبوذين واللصوص ، وهي عصبة لا ترعى حرمة لشيء حتى ولا الأماكن المقدسـة " . (٢)

وقد أطلق على أفـراد هذه الطائفـة اسـم " أهل الكدية " أو " الساسانيين " (٣) نسبة الـى ساسان ، ويقال : " انه ابن ملك من ملوك الفرس وقد حرمه أبوه الملك وان دارا

---

(١) أمين أحمـد — ظهر الاسـلام ١ : ٩٠ — ١٥٨ .

(٢) Blachère P - "Al-Hamadhani - Choix de maqamat p. 10

(٣) دائرة المعارف الاسـلامية ١١ : ٤٧ ، Malcolm J "History of Persia" 1: 69
Browne E.G. - "A Literary History of Persia" 1: 127 - 185

غضبه الملك ، فهام على وجهه محترفا الكدية . وقيل أيضا انه كان رجلا فقيرا يتردد في الأحياء ويستعطي فضرب به المثل ." (١) وقيل أيضا ان ساسان اسم رجل معين وهو أول من أسس الكدية كما أن الطفيلي منسوب الى رجل اسمه طفيل ، وهو أول من تطفل ، فأراد الحريرى ان أبا زيد كان يتنوع في أحواله فيتمسكن تارة ويدعي انه من ساسان طورا ". (٢)

وهكذا غدا للمكدين كيان خاص ، فهم ، مع تشرّدهم وتجوالهم ، عقدوا مجالس خاصة جمعتهم ، وألفت ما بينهم ميول ونزعات ومفاهيم واحدة ، وروح واحدة .

والذى يهمنا من ظهور هذه الطبقة الاجتماعية - طبقة المكدين - انهم توصلوا بحيلهم واستجدائهم ، وبعيشتهم الغريبة الى التغلغل في حياة العصر ، والتأثير على الحياة الأدبية ، عهد ذاك ، مما ساعد على ظهور فن من الأدب جديد هو فن المقامة .

أما الحياة الأدبية فمن أهم ظواهرها نضوج العلم في الدول الاسلامية ، ونبوغ العلماء والفقهاء ، وكانت أيضا مرآة للحياة الاجتماعية في غناها وترفها من جانب ، وفقرها وبؤسها من جانب آخر . وقد أتقن الأدباء الصناعة اللفظية والتفنن في البديع والجناس ، فوضعوا علم البيان وأتقنوا المقامات .

---

(١) المسعودى - مروج الذهب ٢ : ١٥١ وما بعدها

(٢) الشريشي - شرح المقامات الحريرية ١ : ٣١

وفي هذا العصر ظهر علماء لغويون كالتبريزي (٥٠٢/١١٠٨) والجواليقي (٥٣٩/١١٤٤) والأنباري (٥٧٧/١١٨١) . وجلي ان الاتجاه اللغوي ظل مستمرا مطّردا قرونا بعد ذلك بعد ان نضج علم اللغة بالقواميس.(١)

وقد اعتنى الكتاب بالنثر الفني/ عن حضارة معقدة متأنقة منمقة ، ولم تبق الكتابة على حالة واحدة فتفرعت الى أغراض شتى كالمقالات والمقامات وغيرها . يذكر ذلك الدكتور ضيف فيقول :

" أخذ أصحاب النثر الرسمي يبالغون في تنميقه وزركشته حتى استطاعوا ان يحدثوا فيه مذهبا جديدا هو مذهب التطبع ، وهو مذهب كان يعتمد على السجع والبديع ، وقد أخذت تتحول عباراته الى ما يشبه القطع الزخرفية الدقيقة " .(٢)

وجاءت هذه التزاويق اللفظية صدى للتزاويق الاجتماعية ، على اعتبار ان بعض الكتاب كانوا من الطبقة الارستقراطية في المجتمع ، أمثال ابن العميد وابن عباد والوزير المهلبي ،(٣) وكان لنتاجهم الأدبي المترف أثر مباشر على الحياة الأدبية في ذلك العصر اذ حذا الكتاب حذوهم ، واستحسنوا طريقتهم فأمست زيا أدبيا .

وتقيّد الشعراء والكتاب في ذلك العصر بقانون قاس حدّ من حريتهم ، والتحقوا ببلاطات بعض الموالي ، ويعقب على ذلك ضيف قائلا بشأن الكتاب :

" كانوا يتأنقون تأنقهم ، ولا غرابة فهم يعيشون في قصور هؤلاء الحكام والأمراء

---

(١) زيدان جرجي – تاريخ آداب اللغة العربية ٤ : ٣٧٧ وما يليه

(٢) ضيف شوقي – الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٤٥

(٣) الثعالبي – يتيمة الدهر ٣ : ٢ و ٣١ و ٢ : ٨

معيشة مترفة ، تقوم على التصنيع ولذلك كان طبيعيا ان يسقط هذا الجانب الذى يتصل بحياتهم الى أدبهم وفنهم بحيث أصبح التصنيع أساسيا في كل ما تنتجه هذه القصور ". (١)

ولم تكن الظاهرة طارئة ، اذ بدت معالمها في القرن الرابع للهجرة على حد ما يتبين من كتاب " يتيمة الدهر " في المنظوم والمنثور (٢) فكأنما الايغال في الحضارة ينشأ عنه ايغال في فنون متأنقة تنعكس فيها معالم هذه الحضارة وذوق أهلها . (٣)

وقبيل زمان الحريرى نجد ان النثر تأثر بالحياة المادية ايما تأثر اذ بالغت الحياة في ترفها وبذخها وتأنقها فأدرك النثر ما أدركت وجارى مظاهر الحياة حتى أضحى آلة من آلات اللهو اللغوى والاتقان الكلامي وحسب . لذا وجدناه أحيانا مختصا بطبقة دون طبقة ، لا يرضي الا فئة معينة من أهل الأدب يتذوقون هذه المظاهر والأساليب ويسرفون في طلبها .

---

(١) ضيف شوقي - الفن ومذاهبه في النثر العربي - ص ٨٨

(٢) الثعالبي - يتيمة الدهر ٢ : ١١٦ و ١٨٨ و ٢١١

(٣) من هذا القبيل ما كان مثلا في القرن السابع عشر في فرنسا ، من افراط في طلب التأنق حتى التصنّع والافتعال .

ولربما كان دليلا عليه ان ابن صدقة ، وزير المسترشد هو الذى أوعز الى الحريرى بوضع مقاماته .

وقصاراه ان الحياة من الناحيتين السياسية والاجتماعية مهدت لظهور حركة أدبية جديدة في النثر فيها منحى منحرفا عن الابداع الصرف الى الأناقة الارستقراطية والعناية اللغوية - والمنافسة بين مدرستي الكوفة والبصرة على شيء من الشدة - وبرز عامل التصنع واضحا في النثر ،فأدى ذلك كله الى ظهور المقامة بالحلة التي عرفناها لها .

أ - في نشأة المقامة

اختلفت الآراء في تفسير لفظ " مقامة " ويبدو أنها اكتسبت مدلولات تطورات مع الزمن ،فابن منظور يقول : ان المقام أو المقام قد يكون بمعنى موضع القيام . أما مقامة فتستعمل بمعنى مجلس من الناس أو جماعتهم ومثالا على ذلك قال العباس بن مرداس أنشده ابن برى :

فأيي ما وأيك كان شرا فقيد الى المقامة لا يراها

ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس ،مقامة وصفه قول لبيد :

ومقامة غلب الرقاب كأنهم جنّ لدى باب الحصير قيام

أنشــد ابن بـرى لزهــير :

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل (١)

وللمستشرق بلاشير مقال ذو شأن في تطور معنى " المقامة "

وأهم ما جاء فيه :

" ورد في القرآن لفظ مقام ، ولم ترد صيغة " مقامة " مصدرا بمعنى القيام ، (١٠/٧٢ - ٧١ - ١٤ : ١٧ لمن خلف مقامي) أو اسم مكان بمعنى " الموضع الذى يقام فيه " (٢٧ : ٣٩ - ٣٧ : ١٤٤ - ٢٥ : ٦٦ - ٧٦ - ٣٣ : ١٣) .

واذا تصفحنا دواوين شعراء العرب القدماء لاحظنا أن لفظ "مقام"

---

(١) ابن منظور - لسان العرب ١٢ : ٥٠٦ ، راجع ايضا :

بستاني - دائرة المعارف ص ٧ الى ١٢ ،

سلطان - فن القصة ص ١٣

الصديقي - ابن الحريرى ومقاماته ص ٨١ .

لا يعثر عليه الا ندرا ، وقد ورد اما بمعنى "المجلس او النادى" (لسان العرب ، وقرآن ١٩ : ٣٧) ، او بمعنى "الموطن الذى يظهر فيه بطش الابطال" (ديوان سلامة بن جندل طبعة Huart وعدد (١) بيت (٤) في (Journal Asiatique) أو تعني ايضا حادثة مؤلمة (كعب بن زهير "بانت سعاد" البيت ٣٩) . ونرى استخدامهم لصيغة "مقامة" لديهم أقل من استخدامهم لفظ مقام ، وانها وارده عندهم بمعنى القتال . اما لفظ "مقام" في لغة بعض المؤلفين ، كابن قتيبة ، فانه يطلق على "موضع القيام" تارة ، وعلى الموعظة" طورا ، (أغاني ١٩ : ١٦) والمسعودى – مروج الذهب طبعة ((Barbier de Meynard)) ٥ : ٤٢١ : ألقى عمر بن عبد العزيز في مقام له قال ... ") .

وأطلق اللفظ ايضا على المجلس الذى تسمع فيه الموعظه . ثم انتهت تلك الكلمة الى معنى "موعظة أهل الكدية" حتى اتخذها الهمداني لتسمية القصص المعروفة بالمقامات " . (١)

وأورد زكي مبارك فصلا بشأن المقامة جاء فيه :

" وأظهر انواع الاقاصيص في القرن الرابع هو فن المقامات ، وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية ، او فلسفية ، او خطرة وجدانية ، او لمحة من لمحات الدعابة والمجون . وكان المعروف ان بديع الزمان الهمداني هو أول من انشاء فن المقامات ، ولم أجد فيمن عرفت من اهل النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان الى هذا الفن ، انما رأيت من يعلل سبقه بنزعته الفارسية اذ كان الفرس فيما يظن بعض الناس أحرص من العرب على القصص وأعرف بصوغ الاحاديث" . (٢)

---

(١) بلاشير "المقامة" – المشرق عدد ٤٧ ص ٦٥٣ .

(٢) مبارك زكي – النثر الفني في القرن الرابع للهجرة – ص ١٩٧ – ١٩٨ .

ثم يتابع زكي مبارك كلامه قائلا :

" ويظهر مما جاء في "الرسالة العذراء" لابن المدبر — وهو من ادباء القرن الثالث — ان أهل ذلك الوقت كانوا يعرفون نوعا من المحاورات الادبية يسمى المقامات ، اذ رأيناه يوصي المتأدب فيقول :
"وانظر في كتب المقامات والخطباء ومحاورات العرب".

غير أن "المقامات" في كلام ابن المدبر قد تكون جمع مقام بالتذكير ، وهو الخطبة او العظة يلقيها الرجل في حضرة الخليفة او الملك ، وقد عقد ابن قتيبة فصلا سماه "مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك" وذكر نماذج كثيرة منها مقام صالح بن عبدالجليل بين يدى المهدى ، ومقام عمرو بن عبيد بين يدى المنصور ، ومقام خالد بن صفوان بين يدى هشام ، ومقام الحسن عند عمر بن هبيرة . (واللفظة) قد تؤنث كقول بديع الزمان في احد الواعظين : "غريب قد طرأ لا أعرف شخصه ، فأصبر عليه الى آخر مقامته ، لعله ينبىء بعلامته."

وقد انتقلت المقامات بعد ذلك الى كلام المعتفين الذين يتوسلون الى الاغنياء بكلام مسجوع ، وكثيرا ما نجد عندهم امثال عبارة "ارحموا مقامي هذا" ، يريدون الموقف ، ثم صار المقام يطلق على ما يقال من الكلام في تلك المواقف . والمقام في الاصل المجلس ، ففي القرآن (اى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا" (١)

وهكذا نجد ان لفظة "المقامات" قد تكون جمع مقام بالتذكير او تؤنث فتكون جمع "مقامة"

---

(١) مبارك زكي — النثر الفني في القرن الرابع للهجرة — ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

ونرى ايضا ان "مقامة" كانت تعني جمع القبيلة او النادى ، واستعملت للدلالة على الاجتماعات التي كان الامويون واوائل الخلفاء العباسيين يعقدونها حيث كانوا يستقبلون الفقهاء والعلماء لسماع مدائحهم . ومن ثم تطور مدلولها فاكتسبت معنى "محاضرة" ، وقد ظهرت في الشعر ، والامثال واخبار المعارك ، وهكذا ظهرت روح المنافسة بين الادباء في هذه الحلقات ، وأخذوا يتبارون في اللغة والنحو والصرف ، وفي أمور ادبية أخرى .

وفي القرن الثالث للهجرة ازداد مدلولها اتساعا ، فاذا هي تعني القصة الطريفة يقصها الراوية ، او قصدت معاني المواعظ والخطب تجرى بها ألسنة المتصفين السائلين ، ويؤيد هذا قول لبروكلمن جاء فيه :

"في القرن الثالث تطور المعنى وأصبح يعني طلب المكدى على ان يصاغ باسلوب منمق ، وهو الذى مهد لهذا النوع من الفن الادبي " (١)

اما في القرن الرابع فأصبحت المقامة عبارة عن قطعة لغوية أدبية ، مبنية على السجع تدور وقائعها على حكاية صغيرة ، جعلت على لسان رجل خيالي تنتهي بعبرة أو عظة او نكتة ، والمراد بها في الاكثر التفنن بالانشاد وتضمينها الامثال والحكم .

ونظرا لاختلاف هذا المدلول ، اختلف العلماء من المستشرقين في الاصطلاح على ترجمتها ، فيورد بلاشير شيئا عن هذا الموضوع يقول :

"ان كلمة مقامة ترجمت في القرن الثامن عشر ميلادى فسماها (Scheidus) الالماني " consensus " ثم جاء بعده (Herbelot) واعطاها معنى "المكان العام "

---

(١) بروكلمن كارل — "المقامة" (الموسوعة ج ٣ : ١٦٤ سنة ١٩٢٢) .

وثم سماها (De Sacy) " Séance " ومع اننا لا نوافق تمام الموافقة على هذه التسمية الاخيرة ، فلربما كانت افضل الالفاظ مدلولا لتأدية المقصود ، وعليه فليس ثمة ما يحول دون استخدامها (١)

ومنذ اواخر النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، نجد للمكدين في الادب العربي صفة رسمية واذ بلفظة "كدية" تظهر ايضا غالبا . ويذكر بلاشير : "ان أصل لفظ "كدية" مأخوذ عن الفارسية "غدية" أي الاستجداء ، ومن هنا نشاء الفعل كدّ في العربية . اما لفظة مكدي فلا ينحصر مدلولها بمعنى "شحاذ" فحسب ، وانما فيه دلالة على شخصية غريبة في زي شحاذ ، ثم اندمجت هذه اللفظة باللهجة العراقية لكثرة تداولها في ذلك الوقت" . (٢)

غير انا لم نر بدا من تقصي هذا التعليل الفيلولوجي ، فقد يكون في جذر اللفظة ما يكشف عن طبيعة الادب المقصود ، فيرى الاستاذ بلاشير ان كد في الجذر الاصلي لكدية ولا يعتمد كدا او كدى .

وقد رجعنا الى المعاجم الفارسية فوجدنا ان أصل كلمة كدية :

١ – كدا ، موجودة في اللهجة المركزية الفارسية ،

في الآفستا كد gad تعني (الطلب والرجاء)

في الهندية القديمة كيديو guidiu تعني (انا اطلب) (٣)

٢ – كدا – فارسية تعني (الشخص الذي يطلب من الآخرين مساعدة للمعيشة ، والفقير ، والمفلس ، والمسكين)

كداية وكدائي تعني (الفقر ، ضيق ذات اليد ، الافلاس المسكنة ، السؤال بالكف)

---

(١) بلاشير : المشرق – "المقامة" عدد ٤٧ ص ٦٤٦

(٢) Blachere R. "al-Hamadhani - Choix de Maqamat" p. 10

(٣) التبريزي محمد حسن – "كتاب برهان قاطع" ص ١٧٧٦ (حاشية)

كدية وكداية المصدر (فارسية) (١)

٣ - كد ، كدية ، كدائي (٢)

وذكر داعي الاسلام في قاموسه ان :

كدا (بالفتح) تعني (الذى يطلب شيئا لرفع حاجة) وهي عامة بالسنسكريتية .

كد وتعني (الكلام) وفي الآفستا تعني (السؤال) . وكأنما استعملت كلمة (سائل) العربية مجازا بمعنى كدا . (٣)

ونقع في المعاجم العربية على فوارق في المعنى بين كد وكدى ، ففي جمهرة ابن دريد :

(١) الكدى - من قولهم كدى الرجل وأكدى اذا بخل ، وكدى المعدن اذا لم يخرج منه شيء واعطى فلان فأكدى ، اذا اعطى فأقل (٢ : ٢٩٨ عمود س ٢٤) .

الكدية - الارض الغليظة ، والجمع كدى (س ٢٦)

كد - كددت الدابة اكدها كدا : اذا اتعبتها ، وكذلك الانسان وغيره .

والكدة الارض الغليظة لانها تكد الماشي ، والكديد ، الارض الصلبة (ج ١ س ٧٦ عمود ١ س ١١) .

(٢) كدا - الكدية الشدة من الدهر ، الكدية الارض المرتفعة وقيل هو شيء صلب من الحجارة والطين ، والكدية الارض الغليظة .

---

(١) معجم فرهنك نفيس

(٢) بادشاه محمد - معجم فرهنك آنندراج

(٣) داعي الاسلام محمد علي - قاموس فرهنك نظام ٤ : ٣٥٩

كد ـ الشدة في العمل ، وطلب الرزق ، والالحاح في محاولة الشيء

(٣ : ٣٧٧) . واذا اخذنا قاموسا عصريا كمحيط المحيط "للبستاني نجد (٢ : ١٨٠)

كداه يكديه كديا ـ حبسه وشغله ، وفلان قلل عطاءه .

كدى الرجل تكدية سأل فهو مكد ، وأكدى اكداء بخل عند السؤال او قل خيره ، وقلل عطاءه . والمعدن لم يتكون به جوهر ، تكدى الرجل تكديا : تكلف التكدية والتسول .

الكداية ـ الارض الغليظة جمع كدى .

وفي "تاج العروس" للزبيدى فصل طويل عن لفظة كدى اذ يقول :

"الكدية بالضم شدة الدهر . كالكدية كذا في المحكم ، والكدية الارض الغليظة كما في المحكم ، او الصلبة كما في الصحاح ، او المرتفعة والجمع كدى . . . . والكدية كل ما جمع من طعام او شراب . كذا في النسخ ، والصواب او قراب او نحوه (فجعل كبشته كالكداية . . .)

اكدى الحافر اذا بلغ الكدية من الارض فلا يمكنه ان يحفر ، وأكدى الرجل بخل ، وأكدى المعدن لم يتكون به جوهر .

والكدية بالضم حرفة السائل الملح ، وأكديت الرجل عن الشيء ، رددته عنه ، ويقال للرجل عند قهر صاحبه اكدت اظفارك ، وأكدى امسك عن العطية ، وقطع عن الفراء ، وقول الخنساء :

"فتى الفتيان ما بلغوا مداها ولا يكدى اذا بلغت كداها "

اى لا يقطع عطاءه . . . واكدى المطر قل . . . وقال ابن الاعرابي اكدى افتقر بعد غنى ، واكدى قىء خلقه ، وبلغ الناس كدية فلان اذا اعطى ثم منع وأمسك .

كداه كرما ، حبسه و شغله ، يقال ما كداك عني أي ما حبسك و شغلك . وكذا وجهه كدوا خدشه . وقال أبو زيد كدت الأرض تكدو كدوا بالفتح ... والكداء ككساء : المنع والقطع ، اسم من أكدى عن ابن الاعرابي ، وكداء كسماء . اسم لعرفات كلها عن ابن الاعرابي نقلها ابن عديس ، أو جبل بأعلى مكة ". (١)

وبعد مراجعة بعض المعاجم الفارسية والعربية يتبين لنا أن ترجيح جذر " كدى " أفضل من كد ، لأنه يدخل في مفهوم لغظة كدى تقليل العطاء ، ولهذا علاقة بالاستجداء وبمعنى الكدية عامة . ويبدو في رأى البعض الآخر ان لغظة " gudie " الفارسية ، قد تحدرت الى اللغة الفارسية من العربية في عهد متأخر .

معنا أن ظهور طائفة المكدين أفضى في هذا العصر الى ظهور نوع من الأدب جديد . والذى نود ذكره ان هذا النوع الأدبي لم يظهر طفرة ، بل ترجع جذوره الى الجاحظ (٢٥٥/٨٦٨) . وقد تناول الجاحظ تصوير هذه الطائفة ايضا في كتابه " البخلاء " في فصل عقده لخالد بن يزيد ، وقد شرح مصطلحاتها الجاحظ بنفسه . وسرد ما جاء في وصية خالوية المكدي عندما حضرته منيته

---

(١) الزبيدى - تارج العروس ، ١٠ : ٣١٠ - ٣١١

عددا من فرق المكدين . قال :

"وهذا خالويه المكدى ، وكان قد بلغ من البخل والتكدية ، وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها احد . . . قالوا له : وانك لتعرف المكدين ؟ قال وكيف لا اعرفهم وانا كنت كاخان في حداثة سني ، ثم لم يبق في الارض مخطراني ، ولا مستعرض الاقفية ، ولا شحاذ ، ولا كاغاني ، ولا بانوان ، ولا قرسي ، ولا عداء ولا مشعب ، ولا فلور ، ولا مزيدى ، ولا اسطيل ، الا وكان تحت يدى ، ولقد أكلت الزكورى ثلاثين سنة ، ولم يبق في الارض كعبي ولا مكد الا وقد اخذت العرافة عليه . ." (١)

واتى الجاحظ على ذكر المكدين ايضا في كتابه "البيان والتبيين" (٢) حيث نجد فصلا بعنوان "من مواعظ الحسن البصرى" وفيه يبدو لنا الحسن الفقير ينصح بالرجوع الى الصراط المستقيم بالعبادة .

ومن ثم نجد ان ابن قتيبة (٢٢٣ هـ/ ٨٣٧م — ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م) قد وضع في سفره "عيون الاخبار" فصلا خاصا بالمواعظ الدينية ، وهذه العظات موضوعة تحت عناوين مختلفة وهي :

— مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

— مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام

— كلام لبعض الزهاد ومواعظ (٣)

ويعلق بلاشير على هذه المواعظ فيقول :

"كان يلقي تلك العظات الدينية رجل من الصالحين — يكون احيانا من أهل البدو — على مسمع الخليفة الاموى هشام ، اوعلى المنصور والمهدى من خلفاء بني العباس . وكانت تلك الحكايات ارشادات ينطق بها اهل الايمان والورع . غير ان هذا لم يحل دون وجود قوم مشبوهين ، ظفروا بما كان يظفر المؤمنون المخلصون" . (٤)

---

(١) الجاحظ — البخلاء ص٤٨

(٢) الجاحظ — البيان والتبيين ٢ : ٨٨

(٣) ابن قتيبة — عيون الاخبار — ٢ : ٣٣١ — ٣٤١ — ٣٤٤

(٤) Blachère R "al-Hamadhani choix de Maqamat" p. 12

وفي أواخر القرن الرابع للهجرة ، وأوائل الخامس ، نرى قصة لكاتب هو محمد بن ابي احمد المظهر الازدى ، بعنوان "حكاية ابي القاسم البغدادى" ، وهي حكاية رجل بغدادى كان الكاتب يعاشره ويستمع الى اخباره ، ومنها يتعرف الى اخلاق البغداديين ، وعاداتهم ، على اختلاف طبقاتهم . والكاتب نفسه يقول في مقدمة كتابه :

" ... ثم ان هذه حكاية عن رجل بغدادى كنت أعاشره برهة من الدهر ، فينفق منه الفاظ مستحسنة ومستخشنة ، وعبارات أهل بلده مستفصحة ومستفضحة ، فأثبتها خاطرى لتكون كالتذكرة في معرفة اخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم ، وكالانموذج المأخوذ عن عاداتهم وكأنها قد نظمتهم في صورة واحدة يقع تحتهم نوعهم ، وتشترك فيها اشخاص ذلك النوع على احد واحد بحيث لا يختلفون فيه الا باختلاف المراتب وتفاوت المنازل ... " (١)

اما ابوالقاسم فشخصيته محببة لدينا . يكتسي زيا عجيبا ، وهو مستطرف الحديث ، كثير العبث ، شديد التهكم . لا يأنف من بذاء القول ، ويكثر في اشعاره القول السليط . وقد يخلو منه . (٢)

وقد علق بلاشير على هذا المؤلف بقوله :

"تشبه شخصية ابي القاسم الشخصية الدينية التي يصفها ابن قتيبة ، وابو القاسم ضعيف متشرد ، يزور جماعة من البرجوازيين المتأدبين في بغداد ، وعندما يحضر الطعام ، تختمر العقول ، فيبداء ابوالقاسم بالتهكم على الجميع فيراود النعاس جل من حضر ، لفرط السكر ، حتى

---

(١) الأزدى محمد — حكاية ابي القاسم البغدادى ص ١ س ٨

(٢) م ٠ن ٠ ص ٥٢

اذا بزغ الفجر وأذن المؤذن على الناس بالصلاة ،أفاقوا وثابوا الى الرشاد وعندها يدعو أبو القاسم القوم الى الغفران ... وحكاية أبي القاسم هذه هي نقطة ارتكاز جاءت متأخرة أو على الأقل بعد محاولات من هذا النوع". (١)

وثم ثلاثة شعراء عالجوا موضوع الكدية في آثارهم ، وهم الأحنف العكبرى ،وابن الحجاج ،وأبو دلف الخزرجي .

أما الأحنف فهو أبو الحسن عقيل بن محمد العكبرى ، قال عنه الثعالبي : " شاعر المكدين وظريفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم . وقرأت للصاحب فصلا في ذكره فأوردته وهو " لو أنشدتك ما أنشد فيه الأحنف العكبرى لنفسه ، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة في الشعر لامتلأت عجبا من ظرفه واعجابا بنظمه ،ولا أقل من ايراد مواضع افتخاره ، فانه يقول :

على أني بحمد الله　　　في بيت من المجد
باخواني بني ساسا　　　ن أهل الجد والجد
لهم أرض خراسا　　　ن فقاشان الى الهند

---

(١) Blachère R "Al-Hamadani Choix de Maqamat" p. 12

الى الروم الى الزنج ... الى البلغار والسند

اذا ما اعوز الطرق ... على الطراق والجيد

حذار من أعاديهم ... من الاعراب والكرد

قطعنا ذلك النهج ... بلا سيف ولا غمد

ومن خاف اعاديه ... بنا في الروح يستعدى " (١)

ومن طرف الأحنف وملحه قوله :

" العنكبوت بنت بيتا على وهن ... تأوى اليه ومالي مثله وطن

والخنفساء لها من جنسها سكن ... وليس لي مثله الف ولا سكن "

اما ابو عبدالله الحسن بن احمد بن الحجاج (٢) فيقول عنه الثعالبي :

---

(١) الثعالبي - يتيمة الدهر - ٢ : ٢٨٥ و ٢٨٦ - راجع الثعالبي - الاعجاز والايجاز ص ٢٣٦

(٢) ابن الحجاج - ابوعبدالله الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج - ذو المجون والخلاعة ، والسخف في شعره . كان فرد زمانه في فنه ، فانه لم يسبق الى تلك الطريقة ، مع عذوبة الفاظه ، وسلامة شعره من التكلف ، ومدح الملوك والامراء والوزراء والرؤساء وديوانه كبير ، اكثر ما يوجد في عشر مجلدات ، والغالب عليه الهزل ، وله في الجد ايضا اشياء حسنة .

وتولى حسبة بغداد ، وقد اقام بها مدة ويقال انه عزل بأبي سعيد الاصطخرى ، الفقيه الشافعي . وتوفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الاخره سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ بالنيل ونقل الى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر . وأوصى ان يدفن عند رجليه وان يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار شعراء الشيعة ، وراه بعد موته بعض اصحابه بالمنام فسأله عن حاله فأنشد :

أفسد سوء مذهبي ... في الشعر حسن مذهبي

لم يرض مولاى علي ... سبي لاصحاب النبي (ابن خلكان - وفيات الاعيان ١/ ٤٢٦ - ٤٢٧)

" ... هو وان كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف ولا ينجلي قوله الا على سخف ، فانه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، ... وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر تحكم الصبي على أهله ويعيش في أكتافهم عيشة راضية ... وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . ومن لطائف نوادره في أنواع الكدية قوله :

هذا وأيام أكلي عند الملوك الكبار ... ما كنت أفطر الا على كبود القماري

مشوية وقلايا فاليوم سنور داري ... اذا أراد تعشى تنغصت لي بفار (١)

والشاعر الثالث – أبودلف الخزرجي الينبوعي، مسعر بن مهلهل – فكان ينتاب حضرة الصاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق في جملته ، ويتزود كتبه في أسفاره . وكان الصاحب يحفظ مناكاة بني ساسان حفظا عجيبا ، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها . وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما ، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبرى في المناكاة ، وذكر المكدين والتنبيه على فنون حرفهم ، وأنواع رسومهم ، وتنادر بادخال الخليفة المطيع لله في جملتهم ، وقد فسرها تفسيرا شافيا كافيا اهتز ونشط لها ، وتبجح بها وتحفظ كلها وأجزل حيلته عليها ...

---

(١) الثعالبي – يتيمة الدهر ٢ : ٢١١

وهذا ما اخترتـه من قصيدتـه الساسانيـة التي تنيف على مئتي بيت :

"جفون دمعها يجـرى لطول الصـد والهجر
وقلب تـرك الوجـد به جمرا على جمـر
لقد ذقت الهوى طعمين من حلو ومن مـر
ومن كان من الأحـرا ر يسلو سلوة الحـر
ولا سيما في الغـر به أودى أكثر العصـر
تعريت كغصن البـا ن بين الورق والخضـر
فنحن الناس كل النا س في البر وفي البحـر
أخذنا جزية الخلـق من الصين الى مصـر
الى طنجة بل فـي ك ل أرض خيلنا تسـرى
اذا ضاق بنا قطـر نزل عنه الى قطـر" (١)

ويقول الثعالبـي أن الهمذانـي أنشده أبياتـا لأبي دلف نسبهـا في بعض المقامـات الى أبي فتح الاسكندرى :

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنـك الغـرور
زوق ومخزق وكل واطبـق واسرق وطلبق لمن يـزور
لا تلتزم حالـة ولكـن در بالليالـي كما تـدور (٢)

---

(١) الثعالبـي - يتيمـة الدهر ٣ : ١٧٦
(٢) الثعالبـي - م . ن . ٣ : ١٧٦

وقد أشــار (Pellat) الي تأثــر الهمذاني بالعكبرى فقال :

" ان طريق الجاحظ يقود الى الهمذاني مارا بالاحنف العكبرى شاعـــر المكدين الكبير فهو بذلك قد تناول الموضوع الذى أوجده الجاحظ في فصلـه الذى عقده عن خالويه فخلف بذلك نموذج شخصية أضفى عليهـا الهمذانـــي شـــكلا جـديدا " (١)

وأتى على ذكر الخزرجي نقلا عن اليتيمة ،عدد من الباحثين أمثال طليمات فـــي كتابـــه (أهل الكدية ص ٨٥) ،وصلاح المنجد (الظرفاء والشحاذون في بغـــداد وباريس ص ١٠١) ،وآدم متز (الحضارة الاســـلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ٣٤٨). ومما قالــه متزان الهمذانـــي تأثر فـــي مقاماته بالخزرجي ،وقال المنجد انه كـــان للقصيدة الساسانيـــة أثر في الهمذانـــي وقد استشهد في مقاماتـــه الاولـــى بأبيـات منها ،حتى أن حيل مقامات الهمذاني تشبه حيل القصيدة .

وكان أبو دلف مسفارا ،وقد ترك رسالتين هامتين : ذكر في الاولى أسفاره التي قـــام بها الي آسيا الوسطى وايران ،وفي الثانية أتى على التي قام بها الي أرمينيا ،وهي أقـــل رواجا من الاولـــى . وقد درس المستشرق مينورسكي رسالته الثانية ،وكتب مقالا فيها . (٢)

وانما عرضنا للعكبرى ،وابن الحجاج ،والخزرجي لما يبدو من تأثيرهم على الهمذاني .
ومن دواعي العجب ان يكون الثعالبي قد تفرّد بذكرهم دون سائر المؤرخين ،ولم يعين سنوات وفاياتهـم ، أما أثـر هؤلاء الشعراء في الهمذاني ،فاننا بحثناه في غير هذا الموضـــوع ، ويبدو ان شهرة المكدين وحيلهم طارت ،وصارت من موضوعات العلم بحيث كتب حاجـــي خليفة فصلا بعنوان " علم الحيل الساسانية " جاء فيه :

---

(١) Pellat Ch. "Le Milieu basrien et la Formation de Gahiz" P: 40

(٢) Minorsky, "La Deuxième Risala d'Abu - Dulaf" Oriens 5:23,27

" هو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب النافع وتحصيل الاموال ، والذى يباشره يتزيا في كل بلدة بزى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد اهلها في اصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الاشراف الى غير ذلك ، ثم انهم يختلون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها ، منها ما حكى واحد انه رأى في جامع البصرة قردا على مركب مثل ما يركبه ابناء الملوك ، وعليه ألبسة نفيسة نحو ملبوساتهم ، وهو يبكي وينوح ، وحوله خدم يتبعونه ويبكون ، ويقولون : يا أهل العافية اعتبروا بسيدنا هذا فانه كان من ابناء الملوك ، عشق امرأة ساحرة وبلغ حاله بسحره الى ان مسخ الى صورة القردة . وطلبت منه مالا عظيما لتخليصه من هذه الحالة والقرد في هذه الحال يبكي بأنين وحنين ، والعامة يرقون عليه ويبكون ، وجمعوا لاجله شيئا من الاموال ، ثم فرشوا له في الجامع سجادة ، فصلى عليها ركعتين ، ثم صلى الجمعة مع الناس ، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الاموال ، وامثال هذه كثيرة " . (١)

وبعد الانتهاء من الكلام عن الكدية وشعرائها وناثريها ننتقل الى البحث عن المقامة . وفي اجماع الباحثين ان الذى جعل من المقامة فنا مستقلا هو ابو الفضل احمد بن الحسين بن سعيد بن بشر سمي بديع الزمان الهمذاني (٢) (٣٥٨ - ٣٩٨) (٩٦٨ - ١٠٠٧) .

---

(١) حاجي خليفة - كشف الظنون ٣ : ١١٨ - ١١٩

(٢) ابن خلكان - وفيات الاعيان ١ : ١٠٩ - ياقوت - معجم الادباء ١ : ٦٤

الثعالبي - يتيمة الدهر ٤ : ١٦٧ - ١٩٥ - الحصرى - زهر الاداب ١ : ٢٦١

اما مقامات البديع فلطالما اختلف في موضع تأليفها وتاريخه ، فمنهم من ذكر انه الفها في نيسابور ، وانه كان يلقيها على طلابه في ختام دروسه ، ومنهم من قطع بانه انشأها معارضة لابن دريد (١) في احاديثه الاربعين التي كان يلقيها على الطلاب ليعلمهم اساليب العرب ، ولغتهم وأول من اشار الى ذلك المستشرق مرجليوث (٢) في مقالة له ، وقد اعتمد في ذلك على نص للحصرى (متوفى ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) حيث يقول الحصرى :

" ولما رأى ابا بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى أغرب بأربعين حديثا وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وابداها للابصار والبصائر ، واهداها للافكار والضمائر ، في معارض عجمية ، والفاظ حوشية ، فجاء اكثر ما اظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الاسماع . عارضها باربعمائة مقامة في الكدية وقف مناقلتها بين رجلين سمى احدهما عيسى بن هشام ، والاخر ابا الفتح الاسكندرى ، وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر ... فتطلع منها كل طريقة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما أفرد احدهما بالحكاية ، وخص احدهما بالرواية ".(٣)

---

(١) ابن دريد - ابوبكر محمد بن الحسن بن عتاهية الازدى وهو يقول انه من قحطان . ولد في عهد المعتصم عام ٢٢٣/٨٣٧ في البصرة . وعندما حدثت مذبحة الزنج في البصرة عام ٢٥٧/٨٧٠ ، فر مع عمه الحسن الذى كان يقوم بتربيته الى عمان ، واقام فيها اثني عشر عاما ثم ذهب الى جزيرة ابن عمر وخرج منها الى نواحي فارس ، حيث اقام ببلاط آل ميكال وكتب لهم كتاب . الجمهرة في علم اللغة " . توفي عام ٣٢١/٩٣٣ . كان شاعرا مقلا ، لكن شعره رقيق العاطفة ، جميع الوقع . اشتهر خاصة بتعمقه في اللغة العربية وفقهها (بدرسن ج . دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٥٨ - ١٥٩) راجع ايضا : ابن النديم - الفهرست ص ٩١ - ابن خلكان - وفيات الاعيان ٣ : ٤٤٨ - ابن الانبارى - نزهة الالباء ٣٢٢ والسيوطي - بغية الوعاة ٣ : ٤٤٨) .

(٢) مرجليوث - الهمذاني " - الموسوعة الاسلامية ٢ : ٢٤٢

(٣) الحصرى - زهر الاداب ١ : ٣٠٧

ياقوت : معجم الادباء ١ : ٩٤ - ١١٨

وملاحظة مرجليوث هامة لانها تنفي عن الهمذاني ابتكاره فن المقامة ، فاذا رجعنا الى نص الحصرى وجدنا ان لا شيء يثبت ان ابن دريد الف مجموعة سماها الاربعين او كتاب الاربعين . وقد اثار رأى مرجليوث هذا كثيرا من التعليق ، فنجد ان الاستاذ زكي مبارك يأخذ برأيه ويزيد على ذلك فيقول :

"ان احاديث ابن دريد قد نقلها هو نفسه عن استاذه القالي (٢٨٨ / ٩٠٠ - ٣٥٦ / ٩٦٦) في اماليه . واشار مبارك الى ذلك في مقالتين صدرتا له في المقتطف . ففي الاولى وموضوعها "اصلاح خطاء قديم مرت عليه قرون في نشأة فن المقامات" يقول :

" لما رجعت الى القالي وجدت حقا ان القصص التي احتواها مروية عن ابن دريد ، من ذلك مثلا حديث البنات الثلاث اللاتي وصفن ما يحببن من الازواج (١ : ١٧) وحديث العاشق الجميل (١ : ٣٦) وقصة خنافر الكاهن (١ : ٣٤) . وعليه يجوز القول "ان بديع الزمان لم يبتكر فن المقامات ولم تكن اصوله الفارسية هي التي اوحت هذا الفن ، ولكن ابن دريد هو المبتدع" . (١)

اما المقالة الثانية لمبارك وعنوانها "احاديث ابن دريد وقلدها بديع الزمان" ، وفيها يقول ما موجزه انه تتبع كل ما قاله القالي عن ابن دريد فروى عنه ستين حديثا ثم قابلها بالحديث الذى نقله عنه حمزة الاصفهاني جامع ديوان ابي نواس ، فصحت لديه النتائج التالية :

اولا - حديث ابن دريد في حج ابي نواس يصح ان يكون اساسا لفن ~~المقالة~~ المقامات ولست اشك في ان هذا الحديث جزء من الاربعين حديثا التي ابتكرها ابن دريد .

ثانيا - ان اكثر ما روى القالي عن ابي دريد من الاحاديث جرى على السنة ناس مجهولين . فاشخاصه حينا من الاعراب ، وتارة من اقيال اليمن ، وهذا دليل على الوضع والاختراع .

---

(١) مبارك زكي - المقتطف ص ٤١٨ الى ٤٢٠ (١٩٣٠ ج ٤ من مجلد ٧٦)

ثالثا - لاحظ الحصري ان الاربعين حديثا التي ابتكرها ابن دريد " جاء اكثرها مما تنبو عن قبوله الطباع " ولو تتبعنا ما قاله القالي لوجدنا الصنعة والاغراب ظاهرين ". (١)

وبعد ان أيد مبارك رأي الحصري ومرجليوث نجد مصطفى صادق الرافعي ينبري لهم ناقدا في مقال عنوانه "نشأة المقامة" ، وأهم ما أتي على ذكره قوله :

اولا - لم يذكر احد في اخبار ابن دريد ان له مقامات او احاديث وكتبه محصورة معروفة .

ثانيا - ان البحث يجب ان يكون في الاصل الذي نقل عنه صاحب زهر الاداب اذ لم يذكر هذا الخبر احد غيره ، وقد كان في آخر عهد البديع وكان ينقل في كتابه من الكتب وهو من القيروان وليست له رواية ، ولم يرحل الى العراق ، فمن أين وقع له الخبر ؟ لو كان صحيحا لذكره الثعالبي .

ثالثا - كيف يعارض البديع اربعين حديثا باربعمأئة مقامة شرّقت وغرّبت ثم لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ؟

رابعا - اذا كان ابن دريد شيخ القالي ، وكانت رواية القالي عنه ، فهل يكون كل ما يرويه عنه الا مسندا اليه ؟ وهل نسيت ان الرواية علم دقيق ، وانت ترى القالي في اماليه يروى من شعر ابن دريد وينسبه اليه ، فما يمنعه ان يفعل مثل ذلك في احاديثه التي ألفها من " ينابيع صدره وصادق فكره " ؟ (٢)

---

(١) مبارك زكي - المقتطف ص٥٦٣ (١٩٣٠ج ٤ من مجلد ٧٦)

(٢) الرافعي مصطفى صادق - "نشأة المقامة " - المشرق سنة ٢٨ ص٤٦٥

اما الاستاذ طليمات فيقول :

"ان أحاديث ابن دريد تختلف عن المقامات اختلافا بينا في الشكل والموضوع ، فابن دريد يقص فيها باسلوب مسجوع قصصا وحوادث مختلفة ، تتعلق بمواضيع شتى مثل تصوير الشمائل العربية وطريقة النساء في فهم الرجال ... " (١)

اما رأى الاستاذ بلاشير فهو :

"ان الشيء الوحيد الذى يجب علينا حفظه مما ورد في مقطع الحصرى ، انه اكتشف في أواخر القرن العاشر رابطة بين مقامات الهمذاني وروايات تنسب الى ابن دريد الشاعر اللغوى العراقي الشهير" . (٢)

ونحن لا نقدر ان نقطع بحكم في ان يكون البديع قد استلهم ابن دريد لان عمله لم يصلنا ، فللبديع يعود الفضل في ايجاد هذا النوع الادبي الجديد . ومن المبالغه ان يربط باحث بين مقامات البديع وبين أحاديث ابن دريد بالاستناد الى نص الحصرى . فنذهب الى ما ذهب الحريرى الذى ذكر في مقدمته للمقامات :

"الى ان انشيء مقامات اتلو فيها تلو البديع ، وان لم يدرك الظالع شأو الضليع ، فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ، ونظم بيتا او بيتين ، واستقلت من هذا المقام الذى فيه يحار الفهم ، ويفرط الوهم ، ويسبر غور العقل ... " (٣)

---

(١) طليمات غازي - أهل الكدية " ص١٣

(٢) Blachère, "al-Hamadhani Choix de Maqamat" p. 15

(٣) سعد علي - المقامات الادبية ص٤

هذا وانا نرى أن الاستاذ مبارك بالغ في رأيه هذا اذ أننا رجعنا الي أمالي القالي فلم نقع على ترابط بين ما ورد فيها وبين أحاديث ابن دريد ، ولا نعتقد ان ابن دريد تأثر باستاذه في كتابة أحاديثه .

ولسنا في مجال الكلام على أسلوب البديع ،الا بمقدار ما هو تمهيد لأسلوب الحريري . ومن خصائصه انه مزيّن مصقول ،وغايته الأولى أدبية لغوية ، وانه يصطنع في المقامة بعض أساليب القصص كالحوار الذى يقع بين بطل المقامة والراوية ،ويجعل لكل منهما حادثة ،وهو يتقيد بالسجع تقيدا ،ويظهر فيه براعة فائقة تجعله بين يديه وسيلة من وسائل الامتاع الأدبي ، معتمدا في كل ذلك على حافظة قوية ،وبديهة حاضرة ،وذكاء حاد ،ومعرفة عميقة شاملة باللغة وأساليبها .

ثم ان مقامات البديع تؤلف في الواقع مرحلة حاسمة في تاريخ الأدب العربي ،وتثبت وجود نوع جديد هو فن المقامات ،قد ترجع ولادته الي الربع الأول من القرن العاشر ميلادى .

هذا واننا نرى ان الاستاذ مبارك بالغ في رأيه هذا اذ اننا رجعنا الى أمالي القالي فلم نقع على ترابط بين ما ورد فيها وبين احاديث ابن دريد ، ولا نعتقد ان ابن دريد تأثر باستاذه في كتابة احاديثه .

ولسنا في مجال الكلام على اسلوب البديع ، الا بمقدار ما هو تمهيد لاسلوب الحريرى . ومن خصائصه انه مزين مصقول ، وغايته الاولى ادبية لغوية ، وانه يصطنع في المقامة بعض اساليب القصص كالحوار الذى يقع بين بطل المقامة والراوية ، ويجعل لكل منهما حادثة ، وهو يتقيد بالسجع تقيدا ، ويظهر فيه براعة فائقة تجعله بين يديه وسيلة من وسائل الامتاع الادبي ، معتمدا في كل ذلك على حافظة قوية ، وبديهة حاضرة ، وذكاء حاد ، ومعرفة عميقة شاملة باللغة وأساليبها .

ثم ان مقامات البديع تؤلف في الواقع مرحلة حاسمة في تاريخ الادب العربي ، وتثبت وجود نوع جديد هو فن المقامات ، قد ترجع ولادته الى الربع الاول من القرن العاشر ميلادى . ويبدو ان فن المقامة اضحى شائعا منذ اواخر القرن العاشر للميلاد ، وظهر معاصرون للبديع ذكرت لهم مقامات ايضا ، منهم ابن نباتة السعدى ، ويذكر بلاشير :

" ان لابن نباتة عدة مقامات ، وهناك واحدة مخطوطة ومحفوظة في برلين " . (١) ومنهم ابن ناقيا المتوفي سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م) (٢)

---

(١) بلاشير — ذيل رقم (١) Bla chère R. "al-Hamadhani Choix de Maqamat P.139

(٢) هو ابن القاسم عبدالله قيل عبد الباقي بن محمد بن ناقيا . هو من أهل الحريم الظاهرى وهي محلة ببغداد ، وله مصنفات حسنة منها مجموع سماه "ملح المجاملة" ، وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الاغاني في مجلد واحد ، وله ديوان شعر كبير . (ابن خلكان — وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٩)

لابن ناقيا تسع مقامات — محفوظة في استنبول (MS (Fatih 4097 M.ovll , 112)

(سلطان — فن المقامة ص ٢٢)

ب ـ الحريـــــــــــــرى

ب ـ الحريـــــــرى

(١) حياتــــه

ولادتـــه

ولد ابومحمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريرى ، الحرامي في حدود عام ٤٤٦/ ١٠٥٤ ببلدة المشان ،قرب البصرة ، في سكة بني حرام ،ومن ذلك نسبته الحرامي (١). والكتب التاريخية التي رجعنا اليها لا تحدد تاريخ مولده بالشهر او باليوم .

ويذكر ابن خلكان ما نصه : "ان المشان بليدة قرب البصرة كثيرة النخل ، موصوفة بالوخم وكان اصله منها ، ويقال انه كان له بها ثمانية عشر الف نخلة ، وكان من ذوى اليسار . اما بنو حرام فقبيلة من العرب سكنوا في هذه السكة فنسبت اليهم . والحريرى نسبة الى الحرير وعمله " . (٢)

وأورد المستشرق ريتر ما مفاده :

"ان الحريرى كان يلقب سابقا بابن الحريرى ، وهذا ما يدعوه به ابن الخشاب (٥٦٧ / ١١٧١) وابن برى (١١٨٦/٥٨٢) في مخطوطة بمكتبة كوبرلو (№ 1203) ، بخـط تلاميذ ياقوت المستعصي " . (٣)

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٣ : ٢٣١
ياقوت ـ معجم الادباء ٦ : ٢٣١
السيوطي ـ بغية الوعاة ص ٣٧٨
ـ بروكلمان ـ ١ : ٢٦٧ و Suppl. ١ : ٤٨٦ ـ ٤٩٩
ـ مرجليوت ـ الموسوعة ٢ : ٢٦٨

(٢) المراجع نفسها

(٣) Ritter H. Oriens 6: 68

نشأتـــــــه

كان الحريري على ما يظهر ، عربيا صليبا ، وقد قضى طفولته في المشان ، وترعرع في البصرة ، وقرأ الادب على أبي القاسم القصباني البصري .

ثم نرى الحريري في مركز "صاحب الاخبار " (١) وهو بمثابة مدبر الامر في بلدة المشان ، ولا نعلم ما هي طبيعة هذه على سبيل التدقيق ، اذ لم نقع على ما يفيد هذا الامر ، ولكن ضيف يقول انها وظيفة تشبه وظيفة "مصلحة الاستعلامات " في العصر الحديث . وبفضل عمله ، اخذ الحريري يتصـــل بكبار الموظفين ويشترك بالحلقات الثقافية ، ولكنه صرف معظم وقته في التأليف . " (٢)

ويورد ياقوت ان الحريري زار بغداد مرارا (٣) ، منها زيارته اليها عام ٥٠٤/ ١١١٠ ، امــا رحلاته الاخرى فلم يدونها المؤرخون .

أولاده

وجاء في وفيات ابن خلكان : "ان الحريري خلف ولدين هما ضياء الاسلام عبيد الله الذي صــار قاضي قضاة البصرة ، ونجم الدين عبدالله ، وكان موظفا في ديوان بغداد . قال ابومنصور الجواليقي : أجازني المقامات نجم الدين عبدالله وقاضي قضاة البصرة ضياء الدين عبيد الله عن ابيهما منشئها " . (٤)

---

(١) ياقوت ــ معجم الادباء ٦ : ١٦٧

(٢) ضيف شوقي ــ الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٤٤ .

(٣) ياقوت ــ معجم الادباء ٦ : ١٦٧

(٤) ابن خلكان ــ وفيات الاعيان ٣ : ٢٣٠

الا ان شوقي ضيف (١) يذكر ولدا ثالثا هو ابو العباس محمد الذى ورث وظيفة ابيه وشرح مقاماته ، ولا نعلم أى مصدر قد اعتمد ضيف في قوله هذا .

ولم يذكر أحد غير هؤلاء اخبارا عن اولاده ، اوعن زوجته ، وانها لظاهرة مألوفة ان لا نلقى في ما دونه المؤرخون شيئا في سيرة نساء الادباء المشهورين .

موتـــــه

اما تاريخ وفاة الحريرى فقد اختلف في تحديده ، فابن خلكان (٢) ذكر عام ٥١٥/١١٢١ ، ونقل كثيرون ذلك عنه ، وقيل ايضا ٥١٠/١١١٦ . وعين السبكي (٣) وفاته بيوم الاثنين ، في الثاني من رجب . اما التاريخ الذى عينه المؤرخون واتفق اكثرهم عليه وحددوه فهو السادس من رجب عام ٥١٦/ ١١٢٢ ، في البصرة . (٤)

صفاته واخلاقه ـ مذهبـــه

لم تذكر المصادر عن شمائل الحريرى غير القليل العارض ، فذكر ابن خلكان : " انه كان فـــي غاية الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة ، وقد قرن ذلك فيه بشيء من الظرف والدعابة . وقد كان مولعـــا بنتف لحيته عند الفكرة ، حتى قيل ان امير البصرة نهاه عن ذلك وتوعده . وكان كثير المجالسة له فبقـــي

---

(١) ضيف شوقي ـ المقامة ص ٤٨

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٣ : ٢٣٠

(٣) السبكي ـ طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٩٦

(٤) ياقوت ـ معجم الادباء ٦ : ١٦٧

السيوطي ـ بغية الوعاة ٣٧٨

البستاني ـ دائرة المعارف ٧ : ١٧

كالقيد ، لا يتجاسران يعبث بها . فتكلم في بعض الايام عند الامير بكلام استحسنه منه ، فقال له الامير سلني ما شئت حتى أعطيك ، فقال له اقطعني لحيتي فقال له لقد فعلت .

وقيل كان قذرا في نفسه وشكله ولبسه . وكان حقيرا ، دميما ، بخيلا . جاءه يوما رجل غريب لكي يأخذ عنه شيئا فلما رآه استزرى شكله وفهم الحريرى ذلك فلما التمس منه ان يملي عليه قال له اكتب :

" ما انت اول سار غره قمر   ورائد اعجبته خضرة الدمن "

فخجل الرجل منه وانصرف عنه " . (١)

ويروى الانبارى رواية شبيهة بتلك الرواية التي ذكرناها وهي ايضا تدل على قبح هيئة الحريرى اذ يقول :

"ان رجلا قصد الحريرى ليقرأ عليه فاستدل على مسجده الذى يقرأ فيه ، فلما اراد الدخول رأى شخصا دميم الخلق فاحتقره ، وقال لعله ليس هو هذا . فرجع ثم قال في نفسه لعله يكون هذا ، ثم استبعد ان يكون هو ، والشيخ يلحظه . فلما تكرر ذلك منه تفرس الشيخ منه ذلك ، فلما كان في المرة الاخيرة قال له : ارحل فأنا من تطلب ، اكبر من قرد محنك " . (٢)

ونعلم ان مقاماته لا تخلو من الاقتباسات القرآنية والاحاديث النبوية ، غير ان هذا الميل الى تضمينها لم يمنع الحريرى عن الفواحش وخلط الاشياء المقدسة بما ليس من طبيعة المقدسات ، كما في المقامة العشرين (ص١٤٧) ، ~~حيث تحدث عن شجاعة العيث .~~

---

(١) ابن خلكان - وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٦ - السيوطي - بغية الوعاة ص ٣٧٨

(٢) الانبارى - طبقات الادباء - ص٤٥٦

٢ - مؤلفاتـــه

خلف لنا الحريري كتبا عديدة تدلنا على ثقافته الغزيرة ، واهتم بوجه خاص ، بالنحو واللغة على نحو ما تنم مؤلفاته الجمة في هذين المضمارين . ورأينا ان نضع ههنا ثبتا فيها قد يعين على الكشف عن ثقافته وانطباعاته ، وذهنيته .

- من مؤلفات الحريري ما هو :

أ - مطبوع

ب - مخطوط

ج - ما ذكر في الأصول القديمة وفقد

أولا - المطبوع :

أ - المقامات

ألفها في حدود عام ١١٠١/٤٩٥ (١)

طبعت المقامات طبعات عدة نوردها وفقا لترتيب طباعتها التاريخي :

---

(١) مرجليوث - الموسوعة الاسلامية ، ٢ : ٢٦٨

الصديقي - " ابن الحريري ومقاماته" ص ١٩٢

١٨٠٧ - الشريشي

١٨٢٢ - Sylvestre De Sacy في باريس

١٨٢٦ - Rückert في المانيا

١٨٤٦ - طبعت في Lucknow

١٨٤٩ - طبعت في بولاق

١٨٥٠ - Preston T. في لندن

١٨٥٣ - Reynold et Durenbourg في باريس

١٨٦٠ - طبعت في بولاق

١٨٦٢ - طبعت في بولاق

١٨٦٣ - Peyper في ليبزغ باللغة اللاتينية

١٨٦٦ - Steingass في لندن

١٨٦٧ - Chenery . Steingass في لندن

١٨٧١ - طبعت في بولاق

١٨٧٣ - طبعت في Lucknow

١٨٨٢ - الشريشي في بولاق

١٨٨٥ - طبعت في بولاق

١٨٩٥ - طبعت في بولاق

١٨٩٦ - في Lucknow

١٨٩٨ - Steingass & Chenery في لندن

١٨٩٩ - طبعت في بولاق

١٩٠٣ - المطبعة الادبية - بيروت

١٩٠٨ - Druck K.

١٩٥٠ - مطبعة الحلبي بمصر

---

(١) البستاني بطرس - دائرة المعارف ٧ : ص١٧
سركيس يوسف - معجم المطبوعات العربية ٤ : ٧٤٨

ولا نعرض الان لوصف مضمون هذه المقامات لاننا سنفرد للشروح بابا خاصا في ما بعد .

ب - "درة الغواص في أوهام الخواص"

" ألفها قبل عام ٥٠٤/ ١١١٠ ، بين في هذا الكتاب اغلاط الكتاب فيما يستخدمون من الالفاظ بغير معناه او في غير موضعه ، ووضع بعض النوادر والحكايات وقد تتبع الحريري فيها نحو ٢٢٣ عثرة لغوية من عثرات خواص أهل زمانه .

وأقدم من علق على هذا المؤلف من شروح وحواشي من علماء اللغة ابومحمد عبدالله بن برى المصرى (متوفي عام ٥٨٢/ ١١٨٦) ، وكان سيبويه عصره ، فرد سهام الاعتراض التي كانت توجه الى الحريري ، وعلق عليها الحاشيتين ، وغيرها حاشية ابي عبدالله محمد بن محمد المعروف بحجة الدين الصقلي (توفي عام ٥٥٥ / ١١٦٠) ، وحاشية محمد بن محمد المعروف بابن ظفر المكي (توفي عام ٥٦٨ / ١١٧٢) ، ثم حاشية ابن الخشاب (توفي عام ٥٦٧ / ١١٧١) ، وهي موجودة مع مجموعة متون للشيخ الشاطبي (١) (٥٩٠/ ١١٩٣) .

وأشهر من شرح الدرة من المتأخرين الشيخ الخفاجي (المتوفي عام ١٠٦٩/ ١٦٥٨) وقد طبع الشرح في الاستانة عام ١٢٩٩ / ١٨٨١ . وللدرة طبعة أخرى ظهرت في مصر عام ١٢٧٣/ ١٨٥٦ بعناية فربكي ، وثالثة في ليبزغ عام ١٢٨٨/ ١٨٧١ .

الصديقي محمد ابن الحريري ومقاماته ص ٤٣

المغربي - مجلة المجمع العلمي العربي ج ٣ مجلد ٥ ص ١١٠

الموسوعة البريطانية ٢ : ٩٥٣

(١) موجودة في المكتبة الحسينية بالمدينة المنورة .

ونظم الدرة شعرا أبو الفتوح عبدالقادر بن ابراهيم بن العتبة المتوفي عام ٩٠٧ / ١٥٠١ ليسهل حفظها على الطلاب ، ثم شرح ما نظمه ، وجاء ان الدرة نسخت ايضا عام ١١٠١ /١٦٨٩ بخط صاحب الجوهرة ابراهيم اللقاني ". (١)

ج — "ملحة الاعراب وسبحة الاداب " (٢)

ألفها بعد عام ٥٠٤/ ١١١٠

ارجوزة في النحو أولها :

"أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذى الطول شديد الحول "

ضمنها الحريرى أبوابا في تحديد الكلام والاسم والفعل والحرف والفكرة والمعرفة والفعل الماضي والامر والمضارع والاعراب وحروف العلة .

---

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٩

ياقوت — معجم الادباء ٦ : ١٧٣

حاجي خليفة — كشف الظنون ٦ : ١١٠ — ١١١

— سركيس — معجم المطبوعات العربية ٤ : ٧٥٠

— الصديقي — ابن الحريرى ومقاماته ص ٤٣

(٢) المراجع نفسها

وقد طبعت على التوالي في السنوات والاماكن التالية :

(١) طبعة باريس ١٨٨٥ — ١٨٨٩م مع شروح وتقييدات باعتناء Pinto L.

(٢) طبعة باريس ١٩٠٤ ميلادية مع ترجمة باللغة الفرنسية

(٣) طبعة حجر بمطبعة الطوخي ١٢٩٦/ ١٨٧٨

(٤) طبعة حجر بهامشه تقييدات ، مصر ١٢٩٦/ ١٨٧٨/ و ١٢٩٩/ ١٨٨١

(٥) طبعة حجر بمطبعة ابي زيد ١٢٩٩ / ١٨٨١

(٦) طبعة حرف بيروت ١٣٠٢/ ١٨٨٤

(٧) طبعة بيروت ١٨٧١ ميلادية

د — شروح ملحة الاعراب (١)

طبعت مرارا مطبعة بولاق ١٢٩٢/ ١٨٧٥ ، ومطبعة شرف ١٣٠٢/ ١٨٨٤ ، وفي المطبعة الميمنية ١٣٠٦ / ١٨٨٨ . وتعاقب الشراح عليها بعد الحريري ، فشرحها الشيخ شهاب الدين احمد بن حسين الرملي الشافعي (توفي عام ٨٤٤/ ١٤٤٠) ، وجلال الدين عبدالرحمن ابي بكر السيوطي (توفي عام ٩١١ / ١٥٠٥) في ثلاثة كراريس ، وهو شرح ممزوج ، ثم اختصرها في مائة وعشرين بيتا . وشرحها بدر الدين محمد بن محمد المعروف بابن مالك الدمشقي (توفي ٦٨٦/ ١٢٨٧) وابو العباس احمد بن المبارك الحوفي (توفي ٦٦٤/ ١٢٦٥) ، وسراج الدين عبداللطيف بن ابي بكر (توفي عام ٨٠٢/ ١٣٩٩) وأبو المحاسن عبدالله بن عبدالحق فرغ عنه في رمضان عام ٨٤٦/ ١٤٤٢ ، وابن الوكيل احمد بن موسى شرحه وتوفي عام ٧٩١/ ١٣٨٨ .

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٩
ياقوت — معجم الادباء ٦ : ١٧٣
حاجي خليفة — كشف الظنون ٦ : ١١٠ — ١١١
— سركيس — معجم المطبوعات العربية ٤ : ٧٥٠
— الصديقي — ابن الحريري ومقاماته ص ٤٣

وشرحها الشيخ سريجا وسماها "منحة الاعراب" ، ومحمد بن حسن بن سباع الصائغ (توفي ٧٧٣ / ١٣٧١) ، وشرحها عبدالله بن عيسى المرداوى المقدسي الحنبلي ، وفرغ منهـا عام ٨٤٧ / ١٤٤٣ . وشرحها ايضا الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن عمر بحرق الحضرمي واسماها "تحفة الاحباب "وظرفة الاصحاب" ، بهامشها تقاييد وفوائد من شرح المضنون والفاكهي واليمني وغيرهم . المطبعة الوهبية ١٢٩٦ / ١٨٧٨ و ١٣٠٠ / ١٨٨٢ ، مطبعة عثمان عبدالرزاق ١٣٠٦ / ١٨٨٨ ، المطبعة الميمنية ١٣٠٨ / ١٨٩٠ ، المطبعة الخيرية ١٣١٩ / ١٩٠١ . (١)

هـ ـ الرسالتان السينية والشينية

جاء ان الحريرى كتب الرسالة السينية على لسان الامير امين الملك ابي الحسن بن قطيرالمدايني ، وكان يتولى ديوان الاستيفاء بالبصرة ، الى الامير الاجل الاسفهسلار النفيس معاتبا له على اختصاصه بالدعوة للامير الحسام ، وقد كان نزل على الحسام في داره بالبصرة في المحلة المعروفة ببني حرام وهي محلة الشيخ الحريرى ، وكان امين الملك جاره وصديق ابن يهراب النفيس ، فلم يدعه فكتب اليه يمازحه على لسانه . (٢) اما الرسالة الشينية فوجهها الحريرى الى الشيخ شمس الشعراء طلحة احمد بن طلحة النعماني . (٣)

وقد أثبت ياقوت الرسالتين ، (٤) وطبعت في بيروت عام ١٣٦٩ / ١٩٤٩ ثم نشرتا في مجلة الضياء (٥) وفي كتاب المقامات لسعد علي . (٦)

---

(١) سركيس يوسف ـ معجم المطبوعات العربية ٣ : ٥٢٣

(٢) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٤٤٢

(٣) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٤٤٤

(٤) ياقوت ـ معجم الادباء ٦ : ١٧٥

(٥) الضياء ص ٤٩٦ و ٤٢٧

(٦) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٤٤٢ و ٤٤٤

ثانيا ـ مؤلفاته المخطوطــــة

(١) المقامـــات

توجد نسخة بتوقيع الحريري في جامعة استنبول (Plate lV) ونسخة أخـــرى محفوظة في المتحف الوطني في القاهرة . (١)

(٢) الرسالتان السينية والشينية

هناك نسخة في المكتبة الوطنية في باريس ، ونسخة في مكتبة احمد تيمور . (٢)

(٣) رسالة في الفرق بين الضاد والظاد

نسخها موجودة في برلين (٣) وهي مرتبة على الهجاء .

ثالثا ـ مؤلفاته المفقـــودة

(١) ديوان شعـــر (٤)

(٢) رسائـــل (٥)

(٣) كتاب توشيح البيان (٦)

---

(١) Ritter H. Oriens 6: 68

(٢) الضياء ص٤٩٦ ـ (٣) زيدان جرجي ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٤٠

(٤) ياقوت ـ معجم الادباء ٦ : ١٧٣

ـ الصديقي "ابن الحريرى ومقاماته" ص٤٣

(٥) ياقوت ـ معجم الادباء ٦ : ١٧٣ ـ ابن خلكان وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٩

(٦) حاجي خليفة ـ كشف الظنون ٢ : ٤٦٣ ، ٤٦٤

(٤) جزء في الاحاديث من روايات الحافظ (١)

(٥) تاريخ بعنوان "صدور زمان القبور وقيود زمان الصدور" .

نقل منه العلماء ومنهم الاصفهاني في كتابه "نصرة الفترة وعصر الفترة" ، الذى ذكر فيه اخبار الدولة السلجوقية . (٢)

---

(١) حاجي خليفة ـ كشف الظنون ٢ : ٤٦٣ ، ٤٦٤

(٢) الصديقي ـ ابن الحريرى ومقاماته ص٤٣

مقامـــات الحريري

مقامات الحريـــري : تأليفها ، نسبتها اليه ،انتشارها

لا نعلم سببا معينا دفع الحريرى الى تأليف المقامات . ويبدو ان تأليفها كان صدفـة غير مرتقبـة ، فقد ذكر ابو القاسم عبدالله ولد الحريرى :

" كان ابي جالسا في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين ، عليه أهبـــة السفر ،رث الحال ، فصيح الكلام ،حسن العبارة ،فسألته الجماعة : من أين الشيخ ؟ فقـــال : من سروج (١) فاستخبروه عن كنيته ، فقال : ابوزيد . فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية ، وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر ابن شروان بن خالد بن محمد القاشاني ، وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها اعجبتـــه واشار والدى بأن يضم اليها غيرها فأتمها خمسين مقامة . " (٢)

---

(١) سروج : هي بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، غلب عياض بن غنم على ارضها ثم فتحها صلحا على مثل صلح الرها في سنة ١٧ في ايام عمر رضي الله عنه . وهي التي يعيد الحريرى في ذكرها ويبدى في مقاماته .. (ياقوت معجم البلدان — ٣ : ٢١٦ — بلسنر . م دائرة المعارف ١١ : ٣٨٠)

انوشروان : ولد في الرى عام ٤٥٩/١٠٦٦ . وزر للخليفة المسترشد بالله حوالي سنة ٥٢٦/ ١١٣١ الى ان طرد سنة ٥٢٨ / ١١٣٣ حيث رجع الى بيته من الطاهر مكرما ، الى ان توفي عام ٥٣٢/١١٣٧ الف الحريرى المقامات له وكان انوشروان شيعيا (العماد الاصفهاني الخريدة ١ : ٢٤٤) Browne E. "A Literary H istory of Persia" 2: 360

(٢) ابن خلكان — وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٧ — ٢٢٨ — الحنبلي — عماد — شذرات الذهب فـي اخبار من ذهب ٤ : ٥٠ — ياقوت — معجم الادباء ٦ : ١٦٧ : ١٦٨

وبهذا الشأن يذكر الشريشي في شرحه للمقامات ما نصه :

" ... وحكى الفنجديهي في شرحه للمقامات ان الذى أشار عليه بها ، هو شرف الدين انوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بانشاء المقامات وحكم عليه به ، وقيل أمره بها صاحب البصرة وواليها . " ثم يضيف ، " قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطلبه بسند يتصل بأبي محمد الحريرى ، وان الحريرى وفد مع اهل البصرة بغداد فوجدوا بواسط ابا زيد السروجي ، فقال يا أهل البصرة ، انتم تزعمون انكم لا تكادون ولا تخدعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم فما تندرعلي فيها موضع لم اجلب منافع اهله بضروب من المكر ، فلما بلغوا بغداد أخبروا بالقصة وزير السلطان فأمر الحريرى بجمع المقامات . لكن الذى ثبت عندنا هو ما حدثني به الشيخ الفقيه ابوبكر بن ازهر ، ان الفقيه الراوية ابا القاسم بن جهور ، حدثه ان الحريرى حدثه ان قصة المقامة الثامنة والاربعين حق ، وان رجلا قام بمسجد بني حرام فأظهر التوبة من ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر ابنته ، فنظم الحريرى القصة وجعلها مقامة ، وانها اول مقامة اثبتت في الكتاب . وكان ابن جهور يقول ان الذى اشار اليه بها في قوله "فأشار من اشارته حكم " هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب ، وحظ في الادب وعناية بأهل العلم . وحدث ابن جهور انه دخل بغداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم ، وكلهم قد اثبت اسماءهم السلطان في الديوان ، واجرى على كل واحد من المال بقدر حظه من العلم " . (١)

أما الحريرى فدون في مقدمة مقاماته انه ألفها لاحد الاشخاص ، دون ان ينوه باسمه ، اذ يقول :

" وبعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذى ركدت في هذا العصر ريحه ، وخبت مصابيحه ، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همذان ، رحمه الله تعالى ، وعزا الى ابي الفتح الاسكندري

---

(١) الشريشي ـ شرح المقامات الحريرية ١ : ١١ و ١٢

نشأتها ، والى عيسى بن هشام روايتها ، وكلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف . فأشار من اشارته حكم ، وطاعته غنم ، (١) الى ان انشيء مقامات أتلو فيها تلو البديع ، وان لم يدرك الظالع شأو الضليع" . (٢)

ويجيء في كلام ابن خلكان ما يزيل هذا الابهام قطعا حيث يذهب الى انه وقع على نسخة من مقامات الحريري في القاهرة ، صنفها الحريري بخط يده ، وكتب على ظهرها : انه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة ابن علي الحسن بن ابي العز علي بن صدقه ، (٣) وزير المسترشد الذى

---

(١) هذا ما يثبت رواية ابنه اعلاه صفحة ٤٨

(٢) سعد علي - المقامات الادبية - ص ٤

(٣) ابن صدقه : هو جلال الدين عميد الدولة ، وزير المسترشد بالله ، ولي الوزارة عام ٥١٣/ ١١١٩ ولكن الخليفة صرفه في جمادى الاول عام ٥١٦/ ١١٢٢ ونهب منزله وفر ابن اخيـــه ابو الرضا الى الموصل . ولما أغرى دبيس ابن صدقه طغرل بن محمد السلجوقي على مهاجمـــة بغداد لاخضاع العراق بأسره ، خرج الخليفة لملاقاته في صفر عام ٥١٩/ ١١٢٥ وعسكر طغرل ودبيس في جلولاء بينما عسكر الخليفة في الدسكرة . ولما رغب دبيس في الصلح مع المسترشد رحب الخليفة بذلك ، ولكـن الوزير ابن صدقه رده عن رأيه فواصل طغرل بك ودبيس سيرهما الى خراسان واستنجدا بالسلطان سنجر السلجوقي . وتوفـي ابن صدقه في غرة رجب عام ٥٢٢/ ١١٢٨ . (العماد - الخريدة - ١ : ٩٤) (تسنرشتين : دائـــرة المعارف الاسلامية ١ : ٢١١) .

حكم منذ سنة ٥١٢/١١١٨ الى سنة ٥٢٩/١١٣٤ " . (١)

وعليه ، فهناك اختلاف في الرأى حول الذى قدمت له المقامات :

ففريق يرجح ان الحريرى قدمها لابن صدقه ، وفريق اخر يرجح انه قدمها لانوشروان ، ولكن رجح انه قدمها لابن صدقه لان هذا ما ذكره الحريرى نفسه في نسخة من مقاماته التي راجعها ابن خلكان عام ٦٥٠/١٢٥٢ بالقاهرة . ومما يجعلنا نتأكد من قولنا هذا ان الحريرى توفي عام ٥١٦/١١٢٢ ، اى ست سنوات قبل استلام انوشروان وزارته . (٢)

اما بشأن الزمن الذى ألفت فيه ، فنعلم ان الحريرى ألف اول مقامه له عام ٤٩٥/١١٠١ ، وكان الحريرى في التاسعة والاربعين من عمره ، وقد نضجت قريحته ، هذا ما ثبته مرجليوث في مقال له عن الحريرى :

" يذكر هبة الله بن سعيد بن التلميذ صديق الحريرى وأحد الذين كاتبوه ان الحريرى بدأ مقاماته عام ٤٩٥/١١٠١ وانتهى منها عام ٥٠٤/١١١٠ . والتاريخ الاول صحيح لان المقامات قد تحدثت عن استيلاء الفرنجة على مدينة سروج عام ٤٩٠/١٠٩٦ . اما التاريخ الثاني فهو متقدم كثيرا ، على ما يظهر ، إذا كان ابن الاثير على حق في ما ذكره من ان دبيس الاسدى كان شابا عام ٥٠٣/١١٠٩ وقد ورد ذكره في المقامات على انه احدى الشخصيات المعروفة " . (٣)

---

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ٣ : ٢٢٨

(٢) Browne E. G. "A Literary History Of Persia" 2: 360

(٣) مرجليوث — الموسوعة — ٢ : ٢٦٨ وانظر ايضا ،

Blachère R. "al-Hamadhani Choix de Maqamat" p. 44

الصديقي — ابن الحريرى ومقاماته ص ١١٨

أما بشأن نسبتها اليه فقد روى الشريشي ~~ابن خلكان~~ عن ابن جهور "ان الحريرى الف المقامات كلهـــا على الركاب ، وذلك ان المستظهر بالله لما أمره بصنعتها أخرج كالحافظ على العمال ، فكان يخرج في الابردين يتمشى في ضفتي دجلة والفرات ويصقل خاطره بنظر الخضرة والحياة ، فلم ينقض فصل العمل الا وقد اجتمع له مائتا مقامة فخلص منها خمسين وأتلف البواقي ، وصدر الكتاب ورفعه الـــى السلطان فبلغ عنده اسنى المراتب "[1]

وفي قول آخر : " ورأيت في بعض المجاميع ان الحريرى لما عمل المقامات كان قد عملهـــا اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد ، وابداها فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد . وقالوا : انها ليست من تصانيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة ، مات في البصرة ، ووقعت اوراقه اليه ، فادعاها . فاستدعاه الوزير الى الديوان ، وسأله عن صناعته فقال : انا رجل منشيء ، فاقترح عليه انشاء رسالة في واقعة عينّها . فأخذ الدواة والورقة وانفرد في ناحية من الديوان ، ومكث زمانا كثيرا ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان . وكان من جملة من انكر دعواه من عملها ابو القاسم علي بن افلح الشاعر فلما لم يعمل الحريرى الرسالة التي اقترحها عليه الوزير ، أنشد هذين البيتين ، (وقيل بأنهما لابي محمد بن احمد المعروف بابن جاكينا الحريمي البغدادى الشاعر وهما) :

شيخ لنا من ربيعة الفرس   ينتف عثنونه من الهــوس

انطقه الله بالمشان كما   رماه وسط الديوان بالخرس

---

(١) الشريشي . شرح المقامات الحريرية ١ : ١٢

فلما رجع الحريري الى بلده عمل عشر مقامات أخر ، وسيرهن واعتذر عن عيّه وحصره في الديوان بما لحقه من المهابة " . (١)

وذكر ياقوت ايضا روايتين مختلفتين ، وموجز الاولى : "منهم من قال انها ليست من عمله ، لانها لا تناسب رسائله ، ولا تشاكل ألفاظه ، وقالوا هذا من صناعة رجل كان استضافه ومات عنده فادعاه لنفسه " . (٢)

والرواية الاخرى تقول :

" تهم الحريري وقيل ان العرب أخذت بعض القوافل ، وكان مما أخذ جراب بعض المغاربة وباعه العرب بالبصرة فاشتراه ابن الحريري وادعاه " . (٣)

والذي يهمنا ان هذه الروايات التي ذكرت تنفي نسبة المقامات الى الحريري ليست الا روايات عابرة تفرد بها ابن خلكان وياقوت . ومن يرجع الى مؤلفات الحريري الباقية يجد ان اسلوب الحريري هو نفسه ، لما فيه من عناية باللغة ، وتسخير الادب للغايات اللغوية البحت . ونحن لا نشك البتة في ان الحريري هو مؤلف المقامات ، وليس في رواية ابن خلكان ما ينفي ملكة الكتابة عن الحريري قطعا ، ولكنه لم يفتح عليه في حين معنى ، وليس هذا يعني ان الحريري لم يؤلف المقامات ودليلنا ان كل الروايات الاخرى تؤكد ذلك .

وقد انتشرت المقامات انتشارا واسعا في عهد الحريري وصادفت رواجا عظيما . وذكر الحريري نفسه انه اجاز سبعمائة نسخة منها . (٤) وجاء في طبقات الشافعية ما نصه :

---

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ٣ : ٢٢٩

(٢) ياقوت — معجم الادباء — ٦ : ١٦٨ و ١٦٩

(٣) المرجع نفسه

(٤) السبكي — طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٦ — الحنبلي عماد — شذرات الذهب — ٤ : ٥٣

Ritter H. Oriens 6.69

مرجليوث — الموسوعة — ٧ : ٣٦٦

"انتشرت هذه المقامات في زمانه (الحريرى) وكثرت النسخ بها ، وزاد اقبال الخلق عليها ، بحيث قال القاضي جابر ابن هبة الله : قرأت المقامات على الحريرى في اربع عشرة وكنت اظن قوله :

يا أهل ذا المغنى وقيتم سرا ولا لقيتم ما بقيتم نصرا

قد دفع الليل الذى اكتسى الى ذراكم شعثا مغبرا

فقرأت سغبا معترا - ففكر ثم قال : والله لقد اصبت في التصحيف وانه لاجود فلرب شعث مغبر غير محتاج ، ولولا اني كتبت خطي الى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت علي لغيرتـــه كما قلت " . (١)

---

(١) السبكي - طبقات الشافعية - ٤ : ٢٩٦

المقامات من حيث موضوعاتهـــا

المقامات

رأينا فيما يلـــي ان نقسم/ تبعا لطبيعـــة موضوعاتها ، ولا يخفـــى ما في هذا التبويب من تعقيد نظرا لتداخل هذه الموضوعات وتشابكها ،اذ يختلط فيها الاجتماع بالأدب والأخلاق . فبوبناها بحسب المزية الغالبـة على كل منهـا . ولم يكن الغرض ان نلخص فحواها اذ ليس في تلخيصه مؤونة للباحث ، وانمـا شيئنا ان نجمع ما هو من طبيعة متقاربـــة ،فيتضح بذلك تنوع المقامـة بتنـــوع الغرض .

(١) المقامات الأخلاقيـــة : وعددها ست وعشرون ، وجعلنا فيها الطبيعيـة وهي دينية . وقد أسميناها كذلك لأن الحريرى أراد أن يجعلها تثقيفية ،وقد عالج فيها معضلات أخلاقية عدة .

واليك عناوين هذه المقامات على التوالـي :

المقامـــة الأولـــى : الصنعائيـــة (١)

العاشـــــرة : الرحبيـــــة (٢)

---

(١) :صنعاء : بلد في اليمن وأضافها الي اليمن لأن ثم صنعاء أخرى وهي قريـــة في دمشـــق ، تشبه بدمســـق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها .

(ياقوت - معجم البلدان ٣ : ٤٢٥

الشريشي - شرح المقامات الحريرية ١ : ٢١)

الحادية عشرة : الساوية (١)

الثانية عشرة : الغوطية أو الدمشقية

الثالثة عشرة : البغدادية

الثامنة عشرة: السنجارية (٢)

العشرون : الفارقية (٣)

---

(١) ساوة : مدينة حسنة بين الرى و همذان في وسط وبقربها مدينةيقال لها آوة ، فساوة سنية شافعية وآوةأهلها شيعة امامية ،ولا يزال يقع بينهما عصبية .

(ياقوت - معجم البلدان ٣ : ١٧٩)
الشريشي - شرح المقامات الحريرية ١ : ١٧٦)

(٢) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، بينها و بين الموصل ثلاثة أيام و هي في لحف جبل عال . و هي مدينة طيبة في وسطها نهر جار وهي عامرة جدا ، وقدامها واد فيه بساتين ذات أشجار و نخل .

(ياقوت - معجم البلدان ٣ : ٢٦٨
الشريشي - شرح المقامات الحريرية ١ : ٢٦٨)

(٣) ميا فارقين : بلدة بديار بكر وهي من كور الجزيرة و كان تملكها سيف الدولة و ذكرها المتنبي فقال :

نجاف عن ذات اليمين كأنما نحن لميا فارقين و نرحم

(الشريشي - شرح المقامات الحريرية ١ : ٣١٣)

الحادية والعشرون : الرازية (١)

الخامسة والعشرون : الكرجية (٢)

السابعة والعشرون : العربية أو البدوية (٣)

الثامنة والعشرون : السمرقندية

---

(١) الري : أرض على جاده خراسان واسم مدينة الرى المهدية ، سميت بهذا الاسم لأن المهدي تولاها في خلافة المنصور لما توجه الى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأسدى ، وبها ولد الرشيد والمهدى . أقام بها عدة سنين فشيّد بناءها وأتقنه ، وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد ، وأهل الرى أخلاط من العرب والعجم قليل فيها ، وشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة ولكثرة المياه كثرت ثمار البلاد وجناته وأشجاره ،
(الشريشس ـ شرح المقامات الحريرية ١ : ٣٢٢)

(٢) كرج : مدينةبين همذان وأصبهان ، معروفة بشدة البرد . وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وجعلها وطنه واليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم وكانت الكرج مدينة متفرقة ليس لها اجتماع المدن وأبنيتها ، وأبنية الملوك الـ.. قصور واسعة متفرقة وهي ذات زرع ومواشي ،
(ياقوت ـ معجم البلدان ٤ : ٤٤٦
الشريشي ـ شرح المقامات الحريرية ٢ : ٢٧)

(٣) البدوية : أصحاب الوادى الذين ما لهم الابل ، وكني بالوبر عنها
(الشريشي ـ شرح المقامات الحريرية ٢ : ٥٣)

التاسعة والعشـــرون : الواسطيـــة (١)

الحادية والثلاثـون : الرمليـــة

الثانية والثلاثـــون : الطيبيـــة (٢)

الثالثة والثلاثـــون : التغليسيـــة (٣)

---

(١) واســـط : بلد بناه الحجـاج وســط المسافة التي بين البصرة والكوفة ، منهـا الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا ، وسكنه ، ومات فيه . وبنى بها قصره والقبة الخضـراء التي يقال لها خضراء واسط ، والمسجد الجامع وعليها سور ، ونزلتها الولاة بعد الحجاج ، وهي بين البصـرة والكوفـة والأهواز متوسط فسميت واسط .

(الشريشي ـ شرح المقامات الحريريـة ـ ٢ : ٧٨)

(٢) طيبـــة : اسم لمدينة رسول الله يقال لها طيبة وطابة من الطيب وهي الرائحـة الحسنة لحسن رائحة تربتها فيما قيل ، وقيل سميت كذلك لخلوصها من الشـــــرك وتطهيرها منه .

(ياقوت ـ معجم البلدان ٤ : ٥٣)

(٣) تغليس : بلد بأرمينيـــا الأولى والبعض يقول باران ، وهي قصبـه ناحية جـــزران قرب باب الأبواب وهي مدينةقديمة . افتتحها المسلمين في أيام عثمان بن عفـــان ، ولم تزل بعد ذلك بأيدى المسلمين ، وأسلم أهلها الي ان خرج (سنة ٥١٥/١١٢١) من الجبال المجاورة لتغليس جيل من النصارى يقال لهم الكرج في جمع وافر ، فأغـــاروا على ما يجاورهم من البلاد .

(ياقوت ـ معجم البلدان ، ٢ : ٣٥

الشريشي ـ شرح المقامات الحريريـــة ٢ : ١٤٥)

الرابعة والثلاثون : الزبيدية (١)

الخامسة والثلاثون : الشيرازية (٢)

السابعة والثلاثون : الصعيدية (٣)

الثامنة والثلاثون : المروية (٤)

---

(١) زبيد : اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي وهي مدينة مشهورة باليمن . (ياقوت — معجم البلدان ٣ : ١٣١)

(٢) شيراز : مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد فارس في الاقليم الثالث ، وبها جماعة من التابعين مدفونون وقد ذمها البشاري بضيق الدروب وقذارة البقعة وانشاء الفساد وقلة احترام اهل العلم والادب . ينزلها الولاة ولها سعة حتى انه ليس فيها منزل الا وفيه لصاحبه بستان ، فيه جميع الثمار والرياحين والبقول ، وشرب اهلها من عيون تجرى من انهار تأتي من جبال يسقط عليها الثلوج .
(ياقوت — معجم البلدان ٣ : ٣٨٠ — الشريشي — شرح المقامات الحريرية ٢ : ١٦٥)

(٣) صعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا . هي مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من بلد ، وبها مدابغ الادم وجلود البقر التي للنعال ، وهي خصبة كثيرة الخير . (ياقوت معجم البلدان ٣ : ٤٠٦ — الشريشي — شرح المقامات الحريرية ٢ : ١٨٤)

(٤) مرو : اشهر مدن خراسان ، وبين مرو ونيسبور سبعون فرسخا . هي دار خلافة المامون ومنها خرج ابومسلم صاحب الدعوة (ياقوت — معجم البلدان ٥ : ١١٢ و ١١٣
الشريشي — شرح المقامات الحريرية — ٢ : ١٩٧)

التاسعة والثلاثون : العمانيــة (١)

الاربعــون : التبريزيــة (٢)

الحادية والاربعون : التنيسية (٣)

---

(١) عمـان : هي مدينة كبرى على ساحل البحر مرساها فرسخ في فرسخ ، وبلاد عمان ثلاثون فرسخا ، ما ولى البحر سهـول ورمال ، وما تباعد عنه حزون وجبال وهي مدن منها مدينة عمان وهي حصينـــة على الساحل ومن الجانب الاخر مياه تجرى الى المدينة وفيها دكاكين التجار مفروشة من النحـــاس مكان الاجر ، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير والارز وقصب المكر . ومن الامثال من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان . وفي اهوازها مغاص اللؤلؤ وعمان من اهواز اليمن سميت بعمان بن سبا (الشريشي - شرح المقامات الحريرية ٢ : ٢١١)

(٢) تبريـز : من اشهر مدن اذربيجان وهي مدينة عامرة حسناء ذات اسوار محكمة ، وفي وسطهـــا عدة انهار جارية والبساتين محيطة بها والفواكه بها رخيصة ، ولم أر فيها رأيت اطيب من مشمشهـا المسمى بالموصول .

(ياقوت - معجم البلدان ٢ : ١٣)

(الشريشي - شرح المقامات الحريرية ٢ / ٢٢٠)

(٣) تنيـس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البحر ما بين الفرحة ودمياط . سميت تنيس باسم تنيس بنت دلوكه الملكة وهي العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر . ولتنيس موسم يكون فيه من انواع الطيور ما لا يكون في موضع اخر وهي السلوى والزرزور والباز الرومي والراهب الخ

(ياقوت - معجم البلدان : ٢ : ٥١ - الشريشي - شرح المقامات الحريرية ٢ : ٢٦٩)

السابعة والاربعون : الحجرية (١)

الثامنة والاربعون : الحراميـــة

التاسعة والاربعون : الساسانية

الخمســـون : البصريـــة

(٢) المقامات الادبية – عددها اثنتا عشرة :

عالج الحريرى في هذه المقامات الناحية الادبية ، وجرب ان يسخر اللغة لاهدافه البلاغية .

المقامـة الثانية : الحلوانيـة (٢)

الثالثة : الدينارية

السادسة : المراغية او الخنيفاء (٣)

---

(١) حجـر : قصبة اليمامة (اليمامة بلدة كبيرة كثيرة النخل وسكنتها حنيفة ، وهي بلدة مسيلمة الكذاب الحنفي وبها تنبأ وآمن به اهلها ، وهي فعالة من اليم وهو طائر او من يمت الشيء تعمدته . تقول تيممته اذ تعمدته من الامام بمعنى قدام ، وأقرب المدن منها البصرة .
(الشريشي – شرح المقامات الحريرية ٢ : ٣٦٧)

(٢) حلوان : بلدة بينها وبين مدينة بغداد اربع مراحل ، وهي من كور الجبل وسميت باسم بانيها حلوان بن علي بن الحان بن قضاعة . وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ وهي مقابلة لطبرستان وهي جبلية سهلية بحرية ، بها زيتون ونخيل وبها قصب السكر ، وقد افتتحت في زمن عمر بن الخطاب . (الشريشي – شرح المقامات الحريرية ١ : ٣١)

(٣) المراغـة : بلدة من كور أذربيجان . (الشريشي – شرح المقامات الحريرية ١ : ٨٨)

السابعة : البرقعيدية (١)

السادسة عشرة : المغربية

السابعة عشرة : القهقرية

التاسعة عشرة : النصيبية (٢)

الثانية والعشرون : الفراتية

الثالثة والعشرون : الشعرية او الحريمية

الرابعة والعشرون : النحوية

السادسة والعشرون : الرقطاء

---

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين مقابل باشزّى . وقد اشتهر اهلها باللصوصية ومنها كان بنو حمدان التغلبيون سيف الدولة وأهله .

(ياقوت — معجم البلدان ١ : ٣٨٧ — الشريشي — شرح المقامات الحريرية ١ : ٣٨٧)

(٢) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام . وفيها وفي قراها على ما يذكر اهلها اربعون الف بستان ، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه انوشروان الملك . ونصيبين ايضا قرية من قرى حلب ومدينة على شاطيء الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم .

(ياقوت — معجم البلدان ٥ : ٢٨٨ — الشريشي — شرح المقامات الحريرية ١ : ٢٩٩)

السادســة والأربعــون : الحلبيــة

(٣) المقامات الاجتماعيــة ،عددها ثمانيــة

يصـف الحريـرى في هذه المقامات المجتمع وطريقة المعاملـة بين النـاس، وهو يورد أمثـالا عدة لعادات وأخبار تجرى في المجتمع الذى يصورها .

الرابعة : الدمياطيــة

الخامسـة : الكوفيــة

الثامنــة : المصريــة

التاسعــة : الاسكندرانيــة

الرابعة عشـرة : المكية أو الحجازيــة

الثلاثـــون : الصوريــة

الثالثة والأربعــون : البكريــة أو البدويــة

الخامســة والأربعون : الرمليــة

(٤) مقامـات الأحاجـــي والألغـــاز

هذه المقامـــات تدور كلهـــا حول الألغاز، ويتفنن الحريـــرى فـــي ايرادهـــا وفي حلهـــا شـــعرا ونثـرا . ولعلها في تطـور فنه أبرز ما يمثـــل خصائصــه الأدبيــة في الرياضــة التي شاءها أدبـا .

الخامسة عشرة : الغرضية

السادسة والثلاثون : الملطية (١)

الثانية والأربعون : النجرانية

الرابعة والأربعون : الشتوية أو اللغزية

---

(١) ملطية : من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة بلدة من بلاد الروم شهيرة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين • وهي مدينة عظيمة ، وكانت قديمة فأخربها الروم ، فبناها المنصور سنة ١٣٩/٧٥٦ وجعل عليها سورا واحدا ونقل اليها عدة قبائل من العرب •

(ياقوت - معجم البلدان ٥ : ١٩٢

الشريشي - شرح المقامات الحريرية ٢ : ١٧٦)

ثالثا ـ المقامات من حيث هي فن قصصي

١ ـ الاشخاص : ونقتصر على البطل ابي زيد ، والراوية الحارث لاعتبارهما السلك الـذى ينظم المقامات على ما بينها من فوارق .

أبوزيد السروجي

اختلف الرواة في شخصية السروجي ، فذهب مرجليوث الى انها شخصية خيالية ،(١) ورأى القفطي انها شخصية واقعية وان السروجي هو المطهر بن سلار (٢) ، او المطهر بن سلام على حد قول ياقوت (٣) وغيره ، والمطهر هذا هو احد نحاة البصرة ، ولقبه فخرالدين ، وقد تولى صورية الشان ومات بها بعد سنة ٥٤٠/١١٤٥ .(٤)

---

(١) مرجليوث ، الموسوعة الاسلامية ٢ : ٢٦٨

(٢) المطهر بن سلار : البصرى النحوى اللغوى ابوزيد المعروف بالسروجي ، "صاحب أبي محمد القاسم بن علي الحريرى البصرى ، صاحب المقامات والذى انشاء المقامات على لسانه . كان فيه فضل وأدب ، وله معرفة من نحو ولغة عربية . قرأ على أبي محمد الحريرى بالبصرة وتخرج به وروى عنه . وروى القاضي ابوالفتح بن احمد بن المندائي الواسطي عنه ملحة الاعراب" ، في النحو نظم الحريرى ، وذكر انه سمعها منه عن الحريرى وقال : "قدم علينا واسط سنة ٥٨٣/١١٨٧ ، فسمعنا منه وتوجه منها مصعدا الى بغداد فوصلها واقام بها مدة يسيرة وتوفى بها .
(ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ـ ٣ : ٢٢٨ ـ القفطي ـ انباه الرواة على أنباه النحاة ٣ : ٢٧٦ ـ السبكي ـ طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٦)
القفطي ـ انباه الرواة على انباه النحاة

(٣) ياقوت ـ معجم الادباء ٦ : ١٧٣ ـ ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٨ والسبكي ـ طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٦

(٤) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٨

ومما أورده ابن خلكان وغيره من المؤرخين ايضا ان الحريرى التقى ابا زيد في مسجد بني حرام ، فعمل على أثر اجتماعه به المقامة الثامنة والاربعين ، فعزاها اليه (١) . وقد ذكر الشريشي في شرحه للمقامات ما نصه : " ذكر الطف الغنجديهي : "سمعت الشيخ الرئيس ابا محمد الحريرى يقول : ابوزيد السروجي كان شحاذا بليغا ومكديا فصيحا ، ورد علينا البصرة فوقف يوما في مسجد بني حرام يتكلـــم ويسأل الناس شيأ ، وكان بعض الولاة حاضرا ، والمسجد غاص بالفضلاء ، فاعجبهم بفصاحته وحسن صناعته وملاحته وذكر أسر الروم ابنته كما ذكرنا في المقامة الحرامية وهي الثامنة والاربعون ، قال فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده ، وظرافة اشارته في تسهيل ايراده ، فحكى كل واحد من جلسائي انه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وانه سمع منه في معنى آخر فصلا احسن مما سمعت ، وكان يغير في كل مسجد زيه ، وشكله ، ويظهر في فنون احتياله ، فعجبوا من جريانه في ميدانه ، وافتتانه في احسانه ، قال الحريرى فابتدأت في انشاء المقامة الحرامية تلك الليلة حاذيا حذوه ، فلما فرغت منها اقرأتها جماعة من الاعيان فاستحسنوها غاية الاستحسان ، وانهوا ذلك الى وزير السلطان ، واقترحوا عليّ اخواتها والله المستعان " . (٢)

---

(١) ابن خلكان - وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٧ - الحنبلي - شذرات الذهب ٤ : ٧٠ - الخوانسارى - روضات الجنان ص ٥٠٤ - السبكي - طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٦

(٢) الشريشي - شرح المقامات الحريرية ١ : ١١ و ١٢

ومن المؤرخين من ذكر حوادث التقى فيها الحريرى والمطهر ، كتلك التي اثبتها ياقوت حيث يقول :

" سمعت ابا الفضل جابر بن زهير يقول : كنت عند أبي القاسم ابن الحريرى البصرى في المشان ، اقرأ عليه المقامات فبلغه ان صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصرى الذى عمل المقامات عنه قد شرب مسكرا فكتب اليه وانشدناه لنفسه :

أبا زيد اعلم ان من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولي المهذب

ومذ قبل سميت المطهر والفتى يصدق بالافعال تسمية الأب

فلا تحسها كيما تكون مطهرا والا فغير ذلك الاسم واشرب

قال : فلما بلغته الابيات أقبل حافيا الى الشيخ ابي محمد وفي يده مصحف فأقسم به الا يعود الى شرب مسكر . فقال له الشيخ : ولا تحاضر من يشرب " (١)

فينشاء عنه ان المقصود هو المطهر بن سلار بناء على تعاريف ابن خلكان والسبكي وياقوت ، وان القفطي فيما ذكره المطهر كان يعني ابن سلار .

يتضح لنا من هذه الروايات ان اكثرها يحاول ان يثبت ان ابا زيد شخص واقعي ، ولكن الروايات تتفاوت ما بينها في قول بعضها ان الحريرى روى المقامات عن أبي زيد ، وقول البعض الاخر ان ابا زيد روى عن الحريرى بعض كتبه . وقد يكون المطهر شخصية حقيقية وان احد تلامذة الحريرى كما تقول كتب النحاة . (٢)

---

(١) ياقوت — معجم الادباء ٦ : ١٧٣

(٢) القفطي — انباه الرواة على انباه النحاة ٣ : ٢٧٦

ولكنه بان لنا بعد اطلاعنا على مختلف الروايات ودراستنا لشخصية ابي زيد ، من المستبعد المردود ان يكون الحريرى قد حدب على تصوير ابي المطهر تصويرا واقعيا أمينا . انما هو ضرب من الضلال ، وان كان بعض المؤرخين قد عزوا مثل هذا الرأي الى الحريرى نفسه . ونحن نرى ان السروجي ليس الا بطلا خياليا ابتدعه الحريرى ابتداعا . ولربما استوحى بعض سماته من شخص عاش في عصره ، ولربما كان المطهر هذا نواة لشخصية السروجي كما عاد فاختلقها الحريرى .

ويذكر Liddell بهذا الشأن ما ترجمته :

"قلما تكون الشخصية الخيالية صورة لشخصية حقيقية او ما تمثله هذه الشخصية ، او كما يقول الروائي سمرست موم : ان الكاتب لا ينقل الشخصيات الحقيقية ولكنه يأخذ بعض قسماتها او اشياء أثرت على مخيلته فيؤلف منها شخصيته . " (١)

اما ملامح شخصية السروجي البارزة فهي انه رجل شريد (ص٤٧ و ٨٩) مغامر ، فصيح اللسان ، كثير التندر ، بارع الحيلة ، مختلف الهيئة (ص٩٩ و ١٠٦) يظهر تارة في بزة حسنة ، وطورا في هيئة زرية . وهو واعظ كما ترسمه المقامة الاولى :

قال : "فرأيت في بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة ، عليه أهبة السياحة ، وله رنة النياحة ، وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الاسماع بزواجر وعظه ، وقد أحاطت به أخلاط الزمر احاطة الهالة بالقمر ، والاكمام بالثمر ، فدلفت اليه لاقتبس من فوائده ، والتقط بعض فرائده ، فسمعته يقول ، حين خب في مجاله ، وهدرت شقاشق ارتجاله : ايها السادر في غلوائه ، السادل ثوب خيلائه ، الجامح

---

(١) Liddell R. "Treatise On The Novel" p. 97

في جهالته ، الجامح الى خزعبلاته ، الام تستمر على غيك ، وتستمرئ مرعى بغيك ... " (١)

وهو يبدو حينا بعد حين بمظهر الخليع (ص ١٣ و ص ١٠٥) أو والشاعر (ص ١٧ و ٢٢) او الفقيه (ص ٢٤٨) . وهو كثير التقلب في نسبه ينتهي نسبه تارة الى آل ساسان ، وتارة الى أقيال غسان (ص ٤٦) او سروج (ص ٢٢٨) :

غسان أسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة

فالبيت مثل الشمس اشراقا ومنزلة جسيمة

والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة

واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة

ايام اسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة (٢)

ونجد أبا زيد بارع الحيلة ، فاذا سيق الى مجلس القضاء مثلا خيل انه لا محالة محكوم عليه . ثم لا نلبث ان نراه وقد استلهم بديهته واستجمع حجته ، واذ به لا يبارى بمسائل النحو والفقه وغيرها . وقد ذكر برستون في مقدمته "ان السروجي محدث لبق ، وبطل يختلف كبطل الأوديسا ، ومتجول يعتمد على مقدرته اللغوية الفذة ولا غاية له الا اظهار هذه القدرة ، فيستعملها ليبزّ البلغاء او يسخر من البسطاء " . (٣)

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ص ٩

(٢) سعد علي ــ المقامات الادبية ص ٤٦

(٣) برستون ــ شرح المقامات الحريرية ــ المقدمة ص ٨

وهناك ما يدفعنا الى التساؤل عما اذا كان أبو زيد يمثل شخصية منفردة او هو يمثل نماذج بشرية لفئة عاشت في ذلك العصر ؟

فاذا ما تتبعنا تطور شخصية أبي زيد ، وجدناه من المقامة الاولى الى الثامنة والاربعين ، يروى ، في كل واحدة نادرة من نوادره خلال تطوافه في بلدان العالم الاسلامي آنذاك . الا انه بعد المقامة الحرامية (الثامنة والاربعين) يظهر لنا ابو زيد وقد شاخ (المقامة الساسانية) ، واستدعى ابنه اليه يوصيه بتعهد حرفة الكدية ، على طريقة خالد بن زيد ، ونراه في المقامة الخمسين ، يتوب الى الله ، من صنعته ، ويندم على ما فات من اعماله ويعلن هذه التوبة ، لصديقه الحارث ، ثم يتوارى عن الابصار ، ويترامى من أخباره انه تصوف وأضحى من اصحاب المكارم .

ويلوح ان أبا زيد ألم بطبائع الناس وعاداتهم في كثير من بقاع العالم الاسلامي ، فاذا به يواجه الخلق في هذه الاقطار المختلفة ويخاطبهم حين يطيب لهم ، ويفتنهم بسحر حديثه . فنستنتج من هذا كله ان أبا زيد لا يمثل شخصية منفردة فحسب ، وانما تتعدد مزايا شخصيته لانه يمثل فئة كبيرة من الناس ، وبذلك يمثل الانسان الذى يعبر عن طبقة عاشت في ذلك العصر - ونعني بذلك طبقة المكدين - وقد أوردنا بعض ما تتصف به طريقة حياة هذه الطبقة ، في ما أقمناه مقدمة لبحثنا ، وفي معرض الكلام عن نشأة المقامة .

الحارث بن همام

اما الشخصية الثانية التي تسترعي انتباهنا فهي شخصية الحارث بن همام ، الراوية .

ويذكر كثير من المؤرخين : "ان الحريرى عنى نفسه اذ تحدث عن الحارث ، وهو مأخوذ من قول رسول الله : كلكم حارث وكلكم همام ، فالحارث : الكاسب والهمام : كثير الاهتمام وما من امرئ الا وهو

حارث وهمام " . (١)

وقد علق الشريشي على هذا الامر بقوله :

" ان قيل لأيّ معنى اختار الحريرى حارثا وهماما وأبا زيد دون غيرهم من الاسماء ، فالجواب انه انما قصدهم لانهم اصدق الاسماء . قال رسول الله صلى علي وسلم في الحديث المرفوع : تسموا باسماء الأنبياء ، وأحب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن ، واصدقها الحارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرّه ، وصدقهما انه ليس احد وهو يحرث اى يحاول الكسب ، ويهم بحاجة ، وأما ابوزيد فانه صدق انه انسان بعينه . . . ، وان لم يصدق فقد حكى أهل اللغة انه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :

أعار ابوزيد يميني سلاحه   وحد سلاح الدهر للمرء كالم
وكنت اذا ما الكلب انكر اهله   أفدى وحين الكلب جذلان نائم

وقال ابن الاعرابي يقال للشيخ الكبير ابوزيد وأبوسعيد ، والسروجي في الغالب انما يصفه بالكبر والهرم فوقعت التسمية لغوية ، وانما عنى بالحارث الهمام نفسه لانه ممن يحرث ويهم ، ولذلك نسبه الى البصرة وهي بلدة الحريرى ، وانما وضع ابا زيد كنية للدهر لانه يصفه باشياء لا تليق الا بالدهر مثل قوله :

وكل سرح فيه ذئب عائث   حتى كأني للانام وارث
سامهم وحامهم ويافث " . (٢)

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٩ ـ الحنبلي ـ شذرات الذهب ٤ : ٥١ ـ السبكي ـ طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٦

(٢) الشريشي ـ شرح المقامات ١ : ٢٠

ثم ان الحارث هو الراوية وهو الذى يعرفنا بالبطل ، فنراه يرافقه في حله وترحاله وهو الذى يلتقيه مصادفة في قطر من الاقطار . والحارث شديد الاعجاب بأبي زيد ، يجد ابدا في البحث عنه رغم ما يكلفه من عناء كبير ، فتراه يجوب البلاد ، ويشهد المحافل ،ويحشم نفسه المشاق ، حتى يوفق الى معرفة صاحبه ابي زيد ، ويداخل الرجلين سرور اللقاء بعد الفراق . وقد تسوق ابا زيد نفسه الى الاحتيال على الحارث ، ولكن لا يفتّ في اعجاب الراوية/ ولا يخفف من جدّه في مطلبه .

ومن ملامح شخصية الحارث البارزة انه رجل بحاثة ، أديب ، مطلع ،مغرم بالفن الادبي ، يروى قصص صديقه ومغامراته ، وهو اذا ارتحل جمع الاشعار والاقوال العائرة .

وشخصية الحارث اقل تناقضا وتعقيدا من شخصية ابي زيد . فهو يظل في وضع ثابت واحد لا يختلف باختلاف المواقف التي يجابهها ، فيما نرى السروجي يلبس لكل حالة لبوسا مختلفا ، ويكتسى وجوها متباينة .

ويذهب بعض البحاثين (١) الى ان شخصية الحارث لا تختلف البتة عن شخصية الراوية الهمذانية -عيسى بن هشام- وان ابا زيد السروجي يشبه الى حد بعيد ،بتصرفه وحيله ، ابا الفتح الاسكندرى .

فالى أى حد يصدق هذا القول ، وهل نسلم به ؟ والى أى حد ؟ اذا نحن وازنا ما بين شخصيتي الراويتين ،وجدنا تشابها بينهما من حيث انهما يرافقان بطل المقامة اينما حل ، ويرويان اخباره باسلوب شائق ، وان الراويتين ليسا الا الهمذاني والحريرى بشخصيتيهما . فاذا شئنا احلال الحارث محل عيسى بن هشام ، او احلال الحارث محله ، فلا يقع تغيير بالنسبة لاى منهما بحيث لا يعدو ان يكون التبديل الا شكليا .

---

(١) Blachère R. "al-Hamadhani Choix de Maqamat" p. 45
Preston T. "Maqamat." Introduction p. 8

وعليه فان الحريري لا يصور ههنا نماذج بشرية تتسم بالسمات الانسانية الخالدة ، ولا هو يرسم بطولة تنطبق على كل زمان ومكان ، ولا يبدو أنه تقمص بطله بوجه من الوجوه . فهو يعرض له من خارج ، ولا يحياه بحرية فنية ، يتندر ،او يجد ،او يعبث ، ساردا دون ان يعيش قضية الانسان او جانبا من جوانب الشخصية الانسانية . ولذا كان من الاثر أن نعتبر السروجي انعكاسا لطبقة اجتماعية منحرفة عاشت في تلك الحقبة ،لا ان نرى فيه صورة لحقيقة انسانية باقية ، وبدا اضحت المقامات متحفا لاخبار متنوعة ، ورياضة لفظية بديل ان تكون حركة انسانية نامية .

٢ — الاحداث

لم يعن الحريري بذكر البيئة ووصفها وصفا مفصلا ، ولا هو عني بالغوص على الفكرة بجعلها أساسا وانما حصر همه في ذكر الحادثة . وللحادثة شأن في تأليف المقامة ،فهي عنصر يعتمد عليه الكاتب احيانا ، ليتب عنه الى غاية اجتماعية ، او عظة اخلاقية ، يرى ذكرها أحرى وأجدى .

وهو يعول في الحادثة على الحركة ، والحركة لا تجرى في احداث على نبرة واحدة رتيبة ، وانما نراها تشتد حينا ، وتتضاءل حينا ، حتى تخبو او تكاد .

فلو انك اتخذت المقامة الثالثة الدينارية (١) ، لرأيت بعض ازدحام في الاحداث والحركة ، فانت أمام :

مجلس لقوم يتجاذبون الحديث ،واذا بك تفاجاء بدخول شخص أعرج ، ثم يعرض الاعرج لحالة فقره بعد جود وعطاء ، وما هي الا ان يبرز الحارث بن همام له دينارا ليمدحه نظما واذا وفق بذلك ، اعطاه اياه . فيمدح الدينار ، فينفحه به . وانظر في هذا كله الى الافعال كيف تطرد ، وتتكاثف بها الحركة ،وتتكدس الاحداث بقوله :

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ٢٠

ملاحظة — الجدير بالاشارة ان كل ما ذكر كتحليل في هذا البحث هو لي ولم استعمل سعد علي الا لذكر الشواهد في المقامات .

" ثم بسط يده ، بعد ما أنشده ، وقال انجزحر ما وعد ، وسح خال اذ رعد ، فنبذت الدينار اليه ، وقلت خذه غير مأسوف عليه ، فوضعه في فيه ، وقال بارك اللهم فيه ، ثم شمر للانثناء ، بعد توفية الثناء ، فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام ، سهلت علي ائتناف اغترام " .. (ص ٢٣)

ثم يعاود الكرة على وجه معاكس ، يستحيل فيه المدح ذما ، فيظهر الحارث دينار آخر يطلب ذمه . فيأخذ الدينار يفعل به ما فعل بالدينار الاول ، قال :

" فنفحته بالدينار الثاني ، وقلت له عوذهما بالمثاني ، فألقاه في فمه ، وقرنه بتوأمه ، وانكفاء يحمد مغداه ، ويمدح النادى ونداه .. " (ص ٢٤)

ولا يتبين الحارث الشخص الا في خاتمة المقامة حيث يعلم انه ابوزيد السروجي وقد ادعى العرج .

فانك تقع على استمرار في الحركة النامية ، تولد في القارئ لونا من الفضول ، وتعطفه الى المضي في طلب الحدث وطريقة سرده . ولا يخلو الحدث من عنصر المفاجأة ، التي يحتفظ بها خاتمة ، كانما هم القصاص ان يكون الوقع الاخير في نفس قارئه او سامعه هو نقطة الثقل ومركز الاثر وترى الحركة في عديد من المقامات (١) منها مثلا المقامة التاسعة الاسكدرانية ، (٢) وهي متدرجة على النحو التالي :

يدخل الحارث بلدا غريبا ورائده ان يستحيل قاضي البلد . فدخل على حاكم الاسكندرية ، وقت تفريق الصدقات ، واذا بشيخ خبيث تجره بعنف امرأة معها صبيان ، تدعي ان زوجها سرق لها مالها وباع اثاثها وجهازها ، وكيف انها هانت بعد عزّ .

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص٨ - ٣٢ - ٤٨ - ٥٥ - ٧٠ - ٩٢ - ١٦٦ - ٢٠٢ - ٢٣٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٣١٢ - ٣٢١ - ٣٧٣ - ٣٩٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٦١ .

فأمر القاضي الزوج دفاعا عن نفسه ، فانبرى الزوج ينشد ان صنعته الادب ، وهي صناعة كاسدة سوقها :

"فاليوم من يعلق الرجاء به اكسد شيء في سوقه الأدب" (١)

فألجأته الى بيع الاثاث :

فحزن القاضي لحالتيهما واعطاهما صدقات ، ثم بدا القاضي ان يبث عينا عليه يتتبع خطواته ويرى ما يكون من أمره ثم يعود المخبر ، وينقل الى القاضي المشهد الذى رآه :

" ... فما لبث ان رجع متدهدها ، وقهقر مقهقها ، فقال له القاضي مهيم ، يا أبا مريم ، فقال لقد عاينت عجبا ، وسمعت ما انشأ لي طربا ، فقال له ماذا رأيت ، وما الذى وعيت ، قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ، ويخالف بين رجليه ، ويغرد بملء شدقيه ويقول :

"كدت أصلي ببليـة من وقاح شمرية

وأزور السجن لولا حاكم الاسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته ، وذوت سكينته ، فلما فاء الى الوقار ، وعقب الاستغراب بالاستغفار ، قال اللهم بحرمة عبادك المقربين ، حرم حبسي على المتأدبين ، ثم قال لذلك الامين عليّ به ، فانطلق مجدا في طلبه ... " (٢)

تظهر لنا الحركة بوضوح في هذه المقامة حين يرسم الحريرى خصام ابي زيد مع امرأته ، فتستخفك روح المرح السائدة وتحتدم الخصومة ، فتحتدم الحركة ، وتتكثف حدثا اثر حدث .

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص٦٥

(٢) المرجع نفسه ـ ص٦٨

ولكن الحالة ليست كذلك في سائر المقامات ،فنحن نجد ان الحركة تقل في اغلبها (١) فلا تظهر ثمة حركة تسوق مضمون المقامة . ونجد انفسنا نلتفت الى اغراض أخرى تعالجها المقامة كالغاية الاجتماعية او الاخلاقية او الادبية ولا تعود الاحداث العنصر الذى تعتمد المقامة عليه .

ففي المقامة الرابعة والعشرين القطيعية (٢) يصف الحريرى ابا زيد وهو يلقي على جلسائه ملغزة في النحو ويفرط في طلبها حتى تقطع الالغاز التجاوب ، بين القارئ ومضمون المقامة وتتثاقل الحركة كثيرا فيها . ويبدأ مقامته على هذا الترتيب :

خرج الحارث مع اثني عشر شخصا الى المروج ومعهم الخمر والمغني

ظهر عليهم رجل في ثوب خلق وأخذ يتحدث في النثر والنظم

غنى المغني شعرا فتفرقت الاراء في طريقة تركيبه وفي نحوه

تفسير الرجل الغريب للمسائل النحوية .

دعوة الحضور له لشرب الخمر ولكنه ينشد شعرا يعبر فيه عن سبب عزوفه عن شرب الخمر ، وذلك انه اصبح شيخا كبيرا في السن .

وكلما مال غرض الحريرى الى اللغة ، وجنحت المقامة الى الالغاز والآحاجي ، تضاءلت الاحداث حتى كادت تنعدم . وفيها على البهلوانية اللفظيه في المحل الاول حتى تشمل المقامة جملة . من هذا ما جاء مثلا في المقامة الثانية والعشرين (٣) حيث يقف ابوزيد بربوة يخطب خطبة عرية من الاعجام ، ففيها نزول الحارث في سمرقند وذهابه الى الجامع ، للاستماع الى الخطبة ، وما هي :

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ــ ص ٢٥ – ٣٩ – ١٤٠ – ١٤٧ – ١٥٩ – ١٧٨ – ١٨٧ – ٢٢٠ – ٢٤٨ – ٢٦٨ – ٢٨٨ – ٣٠٦ – ٣٩٧ – ٤٠٨ – ٤١٧ .

(٢) سعد علي ــ المرجع نفسه ــ ص ١٧٨

(٣) سعد علي ــ المقامات الادبية ــ ص ٢١٤

~~الاسلن~~ برز الخطيب في أهبته ، متهاديا خلف عصبته ، فارتقى في منبر الدعوة الى ان مثل بالذروة ، فسلم مشيرا باليمين ، ثم جلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال :

الحمد لله الممدوح الاسماء ، المحمود الآلاء ، الواسع العطاء ، المدعو لحسم اللاءواء مالك الامم ، ومصور الرمم ، ومكرم أهل السماح والكرم ، ومهلك عاد وارم ، ادرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه ، وعم كل عالم طوله ، وهد كل ما رد حوله " .. (ص ٢١٤)

وفيها ان الخطيب/السروجي ثم ذهاب الحارث معه الى داره ، وانشاء السروجي قصيدة من عشرة ابيات يستعمل فيها الكلمة " دارا " مقلبة على معان مختلفة ، ومن ثم يترك الحارث السروجي .

فالحركة في هاتين المقامتين وفي سائر المقامات التي ألمعنا اليها في الذيول ، تتباطأ ، وتخبو حتى الجمود . وكذلك في المقامة الحادية عشرة ، (١) حيث يقف ابوزيد بالمقابر واعظا ، فينطفيء عامل الشوق ، ولا يسترعي الاهتمام غير المداورات اللفظية ويعرو القارئ الملل ومن اشد المقامة رتابة وجمودا ، المقامة الحادية والثلاثون وهي تتضمن وعظ ابي زيد للحجاج وقد حج في ذلك العام ماشيا .

ذ نفت الحارث في جماعة الحجيج ، فوصلوا الجحفة ، وتأهبوا للاحرام ، وبرز لهم شخص يقول :

" ... يا معشر الحجاج ، الناسلين من الفجاج ، أتعلقون ما تواجهون ، والى من تتوجهون ، أم تدرون على من تقدمون ، وعلام تقدمون ، أتخالون ان الحج هو اختيار الرواحل ، وقطع المراحل ، واتخاذ المحامل ، وايقار الزوامل ، ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان ، وانضاء

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ٧٦

الابدان ، ومفارقة الولدان ،والنائي عن البلدان ... " (١) وأنشد :

الحج ان تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الانصاف متخـذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا .. (٢)

وكان ان اكتشف الحارث السروجي ، واختفى .

وفي هذه المقامة رتابة في الموضوع ، فالنثر والشعر يدوران على الموضوع نفسه ، ويفقد القارئ تسلسل الحادثة الفكرى ، فيصرف اهتمامه عن مصير ابي زيد الى الموعظة التي يلقيها ابوزيد فيلهي السامع بها ، ويصدف عن الحادثة صدوفا .

٣ ـ العقـــدة

يحدد خورشير العقدة بقوله :

" هي سلسلة الحوادث التي تجرى في القصة ، مرتبطة عادة برابط السببية " (٣)

ويقول ولتر ألن :

"الحبكة والشخصية هي الطريقة التي يعتمدها القاص ليعبر عن اكتشافاته في الحياة . (٤)

وتعلل الاديبة البلجيكية نيللي كورمو هذا فتقول :

" وما الحكاية ان لم تكن عقدة حوادث وعواطف تجرى في الزمن ويضطرب فيها اشخاص ربما كانوا خياليين ولكنهم من مظهر الحياة بحيث يبدون لنا اشخاصا من لحم ودم ؟ في هذه الحكايـة

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٢٤٢

(٢) المرجع نفسه ـ ص ٢٤٤

(٣) Forster E. M. "Aspects Of The Novel" p. 130

(٤) Allen Walter "Reading A Novel" p. 18

بالذات تكمن حبكة الاثر ، مادة تؤلف الحقيقة فيما هي تتألف من عناصر مختلفة ، بل متناقضة ، تشكل امتزاجاتها ومجاذباتها وتداخلها فيما بينها العقدة الصلبة ، والنواة التي تتخذ فيها القصة مركز الثقل . وعلى هذا اقتران بين العناصر وتداخلها ينهض المبدأ المحرك للقصة . وهناك طريقتان لتحقيق هذه العقدة : فهي تولد اما من تسلسل الظرف ، او هي تتحدد بنفسيات الاشخاص" . (١)

والعنصران اللذان تتحدث عنهما كورمو أي تسلسل الظرف ونفسيات الاشخاص يكادان ينعدمان في المقامة . فنحن نكاد لا نجد اثرا لدراسة نفسية اشخاص الرواية ، ولا تحليلا انسانيا ، ولا نماذج بشرية . تدفع الاحداث الى تكوين العقدة ، وبلوغها الاوج ، وحلها .

وكان بديهيا ان تضعف العقدة بضعف الاحداث التي تولدها وقد سقنا في الفصل السابق امثلة عليها في بعض المقامات ، والواقع ان المقامة تكاد تخلو من العقدة بالمعنى الصحيح . ومن ابرز ما يشار اليه ان صيغة المقامات في العقدة تكاد تكون واحدة . فنحن نعلم انه في مستهل كل مقامة يبدأ الحارث برواية الحادثة . ثم تنتهي المقامة بلقاء الراوية والبطل . فهذا الشكل المتبع في سرد المقامة يلقي الملل في نفوسنا ، اذ يتضح للقارئ انه يتبين النهاية قبل بلوغها . وتنحل العقدة ولا تتأزم .

بدليل ما جاء في معظم المقامات ولا سيما المقامة الثانية والثالثة (٢) والمقامة الرابعة عشرة (٣)

---

(١) كورمونيللي ـ مجلة الاداب ـ ص٧٦

(٢) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص٢٠

(٣) ـ المرجع نفسه ـ ص٩٩

ويتفق بظهور الحركة وكثرتها في المقامة ان تتكون عقدة او ما هو من قبيل العقدة مما يثبت رأينا اعلاه في علاقة ما بين الاحداث والحركة والعقدة وتتضاءل فيظهر لك في المقامة السابعة البرقعيدية (١) :

(١) ذهاب الحارث يوم العيد الى الجامع ، والتقاؤه بشخص يصفه على هذه الحال :

" ... طلع شيخ في شملتين ، محجوب المقلتين ، وقد اعتضد شبه المخلاة ، واستقاد لعجوز كالسعلاة ، فوقف وقفة متهافت ، وحيا تحية خافت ، ولما فرغ من دعائه ، اجال خمسه في وعائه ، فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الاصباغ ، في اوان الفراغ ، فناولهن عجوزه الحيزبون ، وأمرها بان تتوسم الربّون ، فمن آنست ندى يديه ، ألقت ورقة منهن لديه . "

(٢) قراءة الحارث لاحدى الرقع وتوقه الى معرفة ناظمها ، والعجوز كيف تبين له شخصية المؤلف انه من سروج فملاقاة الحارث للسروجي :

" ... قال لي يا حارث ، أمعنا ثالث ، فقلت له ليس الا العجوز ، قال ما دونها سر محجوز ، ثم فتح كريمتيه ، وأرأ بتوأمتيه ، فاذا سراجا وجهه يقدان ، كأنهما الفرقدان ، فابتهجت بسلامة بصره ، وعجبت من غرائب سيره ... " (٢)

(٣) وأخيرا اختفاء العجوز والسروجي بعد ان عهدا الى الحارث بأن يجلب لهما ادوات الوضوء .

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ــ ص ٤٨

(٢) المرجع نفسه ــ ص ٥٣

ففي هذه المقامة نجد تسلسلا واضحا للحوادث ، والحركة تكثر فيها ، يقوم بها ابوزيد ، او العجوز ، وتزيد في تركيب العقدة ، والعقدة هنا تتبين لنا في وسط المقامة وتظهر بوضوح في اخرها حيث نعلم ان ابا زيد هو الذى يتعامى .

وفي المقامة الثلاثين (١) ، نجد ابا زيد يزوج مكديا لمكدية ، ولا تخلو هذه المقامة من الطرافة وفيها على التدرج :

(١) ارتحال الحارث الى مدينة صور .

(٢) التقاؤه جماعة من الناس تبين له انهم شهود زواج ،

(٣) نزولهم بيت المكدين حيث يجتمعون دائما ،

(٤) وصول العروس يتمايل في ثوبه ويتبختر بين اعوانه ،

(٥) دخول شيخ كبير في السن ليزوج العروس :

قال : " .... فبرز حينئذ شيخ قد أمال الطوان قامته ، ونور الفتيان ثغامته ، فتباشرت الجماعة باقباله ، وتبادرت الى استقباله ، فلما جلس على زربيته ، وسكنت الضوضاء لهيبته ، ازدلف الى مسنده ، ومسح سبلته بيده ، ثم قال : الحمد لله المبتدئ بالافضال ، المبتدع للنوال ، المتقرب اليه بالسؤال ، المؤمل لتحقيق الامال ، الذى شرع الزكاة في الاموال ، وزجر عن نهر السؤال .. " (٢)

وفي القسم الاخير (٦) انتهاء خطبة الشيخ وخروجه

(٧) ملاقاة الحارث لابي زيد ومعرفة الحارث انه من سروج

(٨) جلوس الحارث والسروجي ، ثم تركه اياه .

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٢٣٢

(٢) المرجع نفسه ـ ص ٢٣٥

فمن دخول الشيخ ، الى خطبته الهامة في تزويج المكدية لمكد مثلها ، الى معرفتنا شخصية الشيخ الغريب ،الى الحركة الجماعية ، الى نمو الفضول ، والسؤال ، الى طلب حله والكشف عنه .

ومنها المقامة الثانية (١) فهي تحوى محاسن من التشبيهات والاعتراضات ، والعقدة تكاد تكون معدومة فيها :

(١) حلول الحارث بحلوان والتقاؤه بابي زيد الذى كان يظهر بهيئات مختلفة

(٢) فراق السروجي للحارث

(٣) ملاقاة الحارث لصديقه في دار للكتب

(٤) ايراد ابيات شعر لشيخ لم يعرفه احد ، وفيها محاسن من التشبيهات

(٥) تعرف الحارث على الشيخ واذ به السروجي

فهنا تسلسل الحوادث مفقود ،وبينما تطلب انت سياق المقامة ، يرد الحريرى هذه التشبيهات العديدة فينقطع خيط المشاركة بيننا وبين المقامة ، ويفقد الارتباط بين الحوادث ، وتتلاشى العقدة .

والمقامة السادسة والعشرين (٢) تكاد تكون خالية من العقدة ايضا :

(١) وفيها سافر الحارث من الاهواز الى مكان حيث وجد خيمة فيها غلمان ومعهم شيخ عليه خلعة رفيعة ،

(٢) التعارف بين الحارث وابي زيد واستغراب الحارث من حالة السروجي الطيبة ،

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ١٢

(٢) سعد علي — المرجع نفسه ص ١٩٣

(٣) ابوزيد يشرح سبب رخائه ويقول ان السبب رسالة رقطاء قدمها الى والي طوس، وفيهـــا شعر ونثر وأولها، (١)

"اخلاق سيدنا تحب، وبعقوته يلب، وقربه تحف، ونأيه تلف، وخلته نسب، وقطيعته نصب، غربه ذلق، وشهبه تألق، وظلفه زان، وقويم نهجه بان، وذهنه قلب وجرّب، ونحته شرق وغرب .."

(٤) املاء الرسالة على الحارث ونفحه بعطية

فتملاء الرسالة كلية المقامة، حتى ينكشف كل ما عداها. يبداء الحوث ثم ترد الرسالـــة الرقطاء فتبتر سلسلة الحوادث وينطوى اللذة والشغف. وبديهي ان عدم توفر العقدة يغض من قيمة المقامة القصصية، وتنحصر أهميتها في الرسالة الادبية التي اوردها الحريرى.

وخلاصة القول ان العقدة بمعناها المعروف غير واضحة في المقامة الا عندما تكثر الحركة، ولكن لا تبدو لنا العقدة عندما تتضاءل الحركة فتصبح المقامة مبنية على غاية اجتماعية او أدبية. وتكون المقامة من حيث نسبها القصصي موفقة في اخراجها عندما يوفق الحريرى في اظهار الحركة وتسلسل الاحداث والعقدة، ويخفق عندما لا تتبين لنا حركة واحداث وعقدة فينطفيء الشوق وتنفرط اللذة القصصية.

٤ – تطور الزمن الداخلي

يختلف الزمن الداخلي او الفني عن الزمن المادى بانه ينقل القارئ الى حالة فنية خاصة، من شانها ان تدوم في الوجدان بعض الحين. وهذه الحالة الفنية نفسها هي التي تفصل القارئ عن حياته الخارجية وعن الزمان المادى، للعيش بالخيال والفكر والشعور في ما نسميه الجو الفني.

---

(١) سعد علي – المقامات الادبية – ص ١٩٨

ولربما كان هذا الزمان الفني = الداخلي ، من أهم العوامل التكوينية في روعة القصص ، اذ به تتم المشاركة بين القارئ وبين ما عني بتصويره صاحب هذا الفن . ولا تتحقق هذه المشاركة ما لـــم ينشاء تكامل وتعاطف بين الاحداث ، والاشخاص ، والعقدة ، وبها يتكون سياق منسجم يسعف على تحقيق هذه الحالة الشعورية الحالمة ، المتأملة ، الناعمة .

وعلى القاص ان ينمي هذا الجو ، وان يغذى الحالة الداخلية بحيث ينتشل القارئ من حياته المادية الى الحياة الفنية الخالصة . وكلما وفق القاص بنقل القارئ الى جوه ، تكثف عامل الشوق لتتبع القصة وحوادثها واحوالها ، واشتد الشغف .

ومر ان المقامات كانت تتلى في مجالس ، فهل في طبيعتها الادبية ما يعين على تحقيق هذا الشرط القصصي فينتشل أهل المجلس الى المناخ الفني قصصيا ؟

يتبادر للذهن ان طبيعة المقامات بالذات قلما ترى فيها استجابة لهذه الحالة ، او محركا ينهض بالقارئ الى مثل هذا المناخ الفني . ومع ذلك فلا يجوز ان نحكم على سبيل القطع بان المقامـــات جميعا على مستوى واحد من هذا النقص الفني القصصي . ولعلنا واجدون في بعضها ، ولا سيما فـــي المقامة الثالثة الدينارية (١) ما يحقق هذا الانتقال من جو مادى الى جو فني رفيع ، بواسطة الرواية اللاهية ، يستهل الحريرى مقامته بقوله :

" روى الحارث بن همام : قال نظمني وأخدانا لي ناد ، لم يخب فيه مناد ، ولا كبا قدح زناد ، ولا ذكت نار عناد ، فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ، ونتوارد طرف الاسانيد ، اذ وقف بنا شخص عليه سمل ، وفي مشيته قزل ، فقال يا أخاير الذخائر ، وبشائر العشائر ، عموا صباحا ، وانعمـــوا اصطباحا ، وانظروا الى من كان ذا ندى وندى ، وجدة وجدا ، وعقار وقرى ، ومقار وقرى ، فما زال

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ــ ص ٢٠

به قطوب الخطوب ، وحروب الكروب ، وشرر شر الحسود ، وانتياب النوب السود ، حتى صفرت الراحة ، وقرعت الساحة ، وغار المنبع ، ونبا المربع ، وأقوى المجمع ، وأقض المضجع ، واستحالت الحال ، واعول العيال ، وخلت المرابط ورحم الغابط ، وأودى الناطق والصامت ، ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع ، والفقر المدقع ، الى ان احتذينا الوجى ، واغتذينا الشجا ، واستبطنا الجوى ، وطوينا الاحشاء على الطوى ، واكتحلنا السهاد ، واستوطنا الوهاد ، واستوطأنا القتاد ، وتناسينا الاقتاد ، واستطبنا الحين المجتاح ، واستبطانا اليوم المتاح ، فهل من حرآس ، اوسمح مواس ، فوالذى استخرجني من قبله ، لقدامسيت اخا عيلة ، لا املك بيت ليلة . قال الحارث بن همام : فأويت لمفاقره ، ولويت الى استنباط فقره ، فابرزت له دينارا ، وقلت له اختبارا ، ان مدحته نظما ،فهو لك حتما ، فانبرى ينشد في الحال ، من غير انتحال :

" اكرم به أصفر راقت صفرته ... جواب آفاق ترامت سفرته

مأثورة سمعته ~~وشهرته~~ وشهرته ... قد أودعت سر الغنى اسرته

وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحببت الى الانام غرته

كأنما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرته

وان تفانت او توانت عثرته ... يا حبذا نضاره ونضرته

ثم بسط يده ، بعد ما انشده ، وقال أنجز حر ما وعد ، وسح خال اذ رعد ، فنبذت الدينار اليه ، وقلت خذه غير مأسوف عليه ، فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ، ثم شمر للانثناء ، بعد توفية الثناء ، فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام ، سهلت على ائتناف اغترام ، فجردت دينارا آخر وقلت له هل لك في ان تذمه ، ثم تضمه ، فأنشد مرتجلا ، وشدا عجلا :

" تبا له من خادع مماذق اصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق يدعو الى ارتكاب سخط الخالق

فقلت له ما أغزر وبلك ، فقال والشرط أملك ، فنفحته بالدينار الثاني ، وقلت له عوذهما بالمثاني ، فالقاه في فمه ، وقرنه بتوأمه ، وانكفاء يحمد مغداه ويمدح النادى ونداه . قال الحارث بن همام : فناجاني قلبي بانه ابوزيد ، وان تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك ، فاستقم في مشيك ، فقال ان كنت ابن همام ، فحييت باكرام ، وحييت بين كرام ، فقلت انا الحارث ، فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب في الحالين بؤس ورخاء ، وانقلب مع الريحين زعزع ورخاء ، فقلت كيف ادعيت القزل ، وما مثلك من هزل ، فاستسر بشره الذى كان يتجلى ، ثم انشد حين ولى :

" تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لاقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي واسلك مسلك من قد مرج
فان لا مني القوم قلت اعذروا فليس على اعرج من حرج "

فالحريرى هنا يصف النادى في مطلع المقامة ، ثم دخول ابي زيد وهو يتمارض ، وسوء حاله ومدحه للدينار ثم ذمه ، ثم انصرافه من النادى وتعرف الحارث عليه ، مستعينا بدقائق الوصف المفصل ليجعل القارئ في اطار روايته . ونقع على هذا التكامل ما بين الاشخاص وبين ما يقع لهم ، وبين العقدة والسياق ، بل ان الشعر الذى يورده في المقامة لا يقطع السياق فيجيء تكملة للقصة نفسها . تخالط هذا كله نغمة من الفكاهة يعتمدها في تصوير الانحراف والكيد في شخصية ابي زيد وتصرفه ، واستخدام التناقض ، والانتقال من الضد الى الضد ، من المدح الى الذم ، ومن الجد الى العبث .

ولا تقتصر وسيلة المشاركة الفنية عنده على عنصر العبث ، وانما تراه يستخدم الاوضاع المفجعة التي تكاد تلامس المأساة ، وبذا يراوح القارئ ما بين طرفي الضحك والمأساة . فمن هذا القبيل ما ورد في المقامة التاسعة ، والثالثة عشرة ، والسابعة والعشرين . ونتخذ الثالثة عشرة (١) مثالا حيا لهذا النوع من المشاركة الفنية .

" روى الحارث بن همام قال : ندوت بضواحي الزوراء ، مع مشيخة من الشعراء ، لا يعلق لهم مبار بغبار ، ولا يجرى معهم ممار في مضمار ، فأفضنا في حديث يفضح الازهار ، الى ان نصفنا النهار ، فلما غاض در الافكار ، وصبت النفوس الى الاوكار ، لمحنا عجوزا تقبل من البعد ، وتحضر احضار الجرد ، وقد استتلت صبية انحف من المغازل ، واضعف من الجوازل ، فما كذبت اذ رأتنا ، ان عرتنا ، حتى اذا ما حضرتنا ، قالت حيا الله المعارف ، وان لم يكن معارف ، اعلموا يا مآل الآمل ، وثمال الارامل ، اني من سروات القبائل ، وسريات العقائل ، ولم يزل اهلي وبعلي يحلون الصدر ، ويسيرون القلب ويمطون الظهر ، ويولون اليد ، فلما أردى الدهر الاعضاد ، وفجع بالجوارح الاكباد ، وانقلب ظهرا لبطن ، نبا الناظر ، وجفا الحاجب ، وذهبت العين ، وفقدت الراحة ، وصلد الزند ، ووهنت اليمين ، وضاع اليسار ، وبانت المرافق ، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب ، فمذ اغبر العيش الاخضر ، وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض ، وابيض فودى الاسود ، حتى رثى لي العدو والازرق فحبذا الموت الاحمر ، وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره ، قصوى بغية احدهم ثردة ، وقصارى امنيته بردة ، وكنت آليت ان لا أبذل الحر الا للحر ، ولو انني مت من الضر ، وقد ناجتني القرونة ، بان توجد عندكم المعونة ، وآذنتني فراسة الحوباء ، بانكم ينابيع الحباء ،

(١) سعد علي - المقامات الادبية - ص ٩٢

فنضّر الله امرأ أبر قسمي ، وصدق توسمي ، ونظر الي بعين يقذيها الجمود ، ويقذيها الجود . قال الحارث بن همام : فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها ،وقلنا لها قد فتن كلامك ، فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر ، فقلنا ان جعلتنا من رواتك ، لم نبخل بمواساتك ، فقالت لاريتكم اولا شعاری ، ثم لارويتكم اشعاری ، فابرزت ردن درع دريس ، وبرزت عجوز دردبيس ، وانشأت تقول :

" اشكو الى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المعتدى البغيض

يا قوم اني من اناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض"

قال الراوی : فوالله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب ، واستخرجت خبايا الجيوب ، حتى ماحها من دينه الامتياح ، وارتاح لرفدها من لم نخله يرتاح ، فلما افعوعم جيبها تبرا ، واولاها كل منا برا ، تولت يتلوها الاصاغر ، وفوها بالشكر فاغر ، فاشرأبت الجماعة بعد مرها ، الى سبرها ، لتبلو مواقع برها ، فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ، ونهضت اقفو اثر العجوز ، حتى انتهت الى سوق مغتصة الانام ، مختصة بالزحام ، فانغمست في الغمار ، واملست من الصبية الاعمار ، ثم عاجت بخلو بال ، الى مسجد خال ، فأماطت الجلباب ، ونضت النقاب ، وانا المحها من خصاص الباب ، وأرقب ما ستبدى من العجاب ، فلما انسرت اهبة الخفر ، رأيت محيا ابي زيد قد سفر ، فهمت بأن أهجم عليه ، لاعنفه على ما اجرى اليه ، فاستلقى استلقاء المتمردين ، ثم رفع عقيرة المغردين ، واندفع ينشد :

" يا ليت شعرى أدهرى أحاط علما بقدرى

وهل درى كنه غورى في الخدع ام ليس يدرى

كم قد قمرت بنيه بحيلتي ومكــــــرى"

قال الحارث بن همام : فلما ظهرت على جلية أمره ، وبديعة امره ، وما زخرف في شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد ، لا يسمع التفنيد ، ولا يفعل الا ما يريد ، فثنيت الى اصحابي عناني ، وأبثثتهم ما أثبته عياني ، فوجموا لضيعة الجوائز ، وتعاهدوا على محرمة العجائز" .

ففي هذه المقامة ينتقل الحريرى من وصف العجوز المضحك ومعها الصبية الصغار ، الى تصوير حالة العجوز المزرية بعد ان كانت على نعمة ، فحزن عليها الجالسون ، ونفحوها بالمال . ولكن ما عتم الحارث ان لحق بالعجوز وتكون المفاجأة الكبرى ان يتضح ان العجوز ليست الا ابا زيد .

فهو ، فيما صور يثير في سامعه او قارئه بعض ملامح الاشفاق والحزن والرثاء ، ثم سرعان ما نعلم ان هذه العجوز تعتصم بالحيلة فننتقل من حالة الاشفاق والرأفة بالعجوز الى حالة الضحك . بحيث تسرى عن المستمع بمفاجأة هي المتعة الجديدة ، ويتبدل سياق اللفظ ، وتختلف طريقة ايقاعه باختلاف المواقف .

غير ان الصفة الغالبة على المقامة الحريرية جملة انما هو خلوها من هذه الروعة القصصية التي تتم بها اعجوبة المشاركة الفنية واحياء الزمان الداخلي . ~~ويرد~~ ويرد هذا النقص في رأينا الى دواع اهمها ثلاثة :

اولا — اغراق الحريرى في طلب النادر من اللفظ .

ثانيا — عنايته المسرفة في صيغ البديع بحيث يغلب هذا التلهي بالرياضة البديعية على المضمون القصصي .

ثالثا — اسرافه في تصوير التفاصيل وسرد النوافل ، وايراده مقاطع من الشعر بحيث تجيء هذه النوافل المسرورة والابيات المروية ، فاصلا يقطع الاستمرار الزمني ويشل الاتحاد بين الفن ومتذوقيه .

اما الداعي الاول وهو اغراق الحريري في طلب النادر من اللفظ ، فكثير لديه . فتراه في المقامة السابعة والعشرين يغرق في استعمال الالفاظ الغريبة حتى يستحيل شغفه بها الى حالة مرضية ، وتضحي الالفاظ غاية بذاتها . منها قوله : (١)

"ملت في ريق زماني الذى غبر ، الى مجاورة أهل الوبر ، لآخذ اخذ نفوسهم الابية ، والسنتهم العربية ، فشمرت تشمير من لا يألو جهدا ، وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا ، الى ان اقتنيت هجمة من الراغية ، وثلة من الثاغية ، ثم أويت الى عرب ارداف أقيال ، وابناء اقوال ، فاوطنوني امنع جناب وفلوا عني حد كل ناب ، فما تأويني عندهم هم ، ولا قرع صفاتي سهم ، الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر ، لقحة كجزيرة الدر ، فلم أطب نفسا بالغاء طلبها ، والقاء حبلها على غاربها ، فتدثرت فرسا محضارا ، واعتقلت لدنا خطارا ، وسريت ليلتي جمعاء ، اجوب البيداء ، واقترى كل شجراء ومرداء ، الى ان نشر الصبح راياته ، وجعل الداعي الى صلاته ، فنزلت عن متن الركوبة ، لاداء المكتوبة ، ثم حلت في صهوتها وفررت عن شحوتها ، وسرت لا أرى أثرا الا قفوته ، ولا نشزا الا علوته ، ولا واديا الا جزته ، ولا راكبا الا استطلعته ، وجدى مع ذلك يذهب هدرا ، ولا يجد ورده صدرا ، الى ان حانت صكة عمي ، ولفح هجير يذهل غيلان عن مي ، وكان يوما اطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلات ، فايقنت اني لم استكن من الوقدة ، واستجم بالرقدة ، ادنفني اللغوب ، وعلقت بي شعوب ، فجفعجت الى سرحة كثيفة الاغصان ، وريقة الافنان ، لاغور تحتها الى المغيريان ..."

ويغرق الحريري في استعمال الالفاظ الغريبة ، فتنقطع الصلة بيننا وبين المقامة ، ونلهى بالشكل عن المضمون حتى تضحى المقامة تطريزا كلاميا ، وزركشا بديعيا ، فيفنى القصص ويتقلص كل شوق وتنطفيء كل

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٢٠٢

متعة ما خلا العناية باكتشاف مدلول الالفاظ والتلهي عن الاحداث بفنون البديع . ومثالا على ذلك ايضا ما أورده من كلمات غريبة في المقامة الثلاثين : (١)

"فقال ليس لها مالك معين ، ولا صاحب مبين ، انما هي مصطبة الفيقين والمدروزين ، ووليجة الشقشقين والمجلوزين ، فقلت في نفسي انا لله على ضله المسعى ، وامحال المرعى ، وهممت في الحال بالرجعى ، لكني استهجنت العود من فورى ، والقهقرة دون غيرى ،فولجت الدار متجرعا الغصص، كما يلج العصفور القفص ، فاذا فيها ارائك منقوشة ، وطنافس مفروشة ، ونمارق مصفوفة ، وسجوف مرصوفة ، وقد اقبل المملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته " .

ثم يقول :

" ... وهذا ابو الدراج ، ولاج بن خراج ، ذو الوجه الوقاح ،والافك الصراح ، والهرير والصياح ، والابرام والالحاح ، يخطب سليطة اهلها ، وشريطة بعلها قنبس، بنت ابي العنبس، لما بلغه من التحاقها بالحافها ، واسرافها ، في اسفافها وانكماشها ، على معاشها ،وانتعاشها ، عند هراشها ، وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصقاعا وكرازا ... " (٢)

فنحن اذا تصفحنا اغلب المقامات ، نجد اغرابا في اللفظ ، يقطع الصلة بيننا وبين السياق القصصي في مقامته .ووربما كان فضله فيه ان هذا الاغراب المسرف يضحي سبيلا الى اثارة السخرية والضحك .

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ــ ص٢٣٣ — ٢٣٤

(٢) سعد علي ــ المقامات الادبية ــ ص٢٣٦

اما اسرافه في صنع البديع ، فلك مثال عليه ما جاء في المقامة السادسة (١) وفي رسالة ضمنها لفظا معجما وآخر مهملا :

"الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين ، والاروع يثيب ، والمعور يخيب ، والحلاحل يضيف ، والماحل يخيف ، والسمح يغذى ، والمحك يقذى ، والعطاء ينجي ، والمطال يشجي ، والدعاء يقي ، والمدح ينقي والحر يجزى ، والالطاط يخزى ، واطراح ذى الحرمة غي ، ومحرمة بني الامال بغي ، وماضن الا غبين ، ولا غبن الا ضنين ، ولا خزن الا شقي ، ولا قبض راحه تقي ، وما فني وعدك يفي ، واراؤك تشفي ، وهلالك يضي ، وحلمك يغضي ، والاؤك تغني ، واعداؤك تثني ، وحسامك يفني ، وسوددك يقني ، ومواصلك يجتني ، ومادحك يقتني ، وسماحك يغيث ، وسماؤك تغيث ، ودرك يفيض ، وردك يغيض ، ومؤملك شيخ حكاه فيء ، ولم يبق له شيء ، أمك بظن حرصه يشب ، ومدحك بنخب ، مهورها تجب تجب . . ."

وفي المقامة السادسة عشرة يورد الحريرى عبارات تقرأ طردا وعكسا كقوله :

" فقل مخاطبا لمن ذم البخل ، واكثر العذل (لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) وان احببت ان تنظم ، فقل للذى تعظم :

أس أرملا اذا عرا　　وارع اذا المرء أسا
أسند أخا نباهة　　أبن اخاء دنا
أسل جناب غاشم　　مشاغب ان جلسا
أسر اذا هب مرا　　وارم به اذا رسا
اسكن تقو فعسى　　يسعف وقت نكسا (٢)

---

(١) سعد علي — المرجع نفسه ص ٤٣
(٢) سعد علي — المقامات الادبية ص ١١٨ — راجع ايضا ص ١٠٥ — ١١٥ — ١٢٢ — ١٧٨ — ١٩٣ — ٢٤٨ — ٣٢٨ — ٣٦٢ حيث يجد القارئ امثلة على الاسراف في استعمال البديع

وتزول امكانية العدوى والمشاركة الفنية بالجهد الذى يبذله القارئ لاستيعاب المراد ، اذ يغلب اللفظ من حيث هو صوت وجرس على المضمون القصصي بالذات . وبها يعرض القارئ عن العناية بالمضمون الذى لا يدرك الا بشق النفس ، ويركز اهتمامه على تفسير الالفاظ المستعصية والصور البيانية المعقدة الغامضة . يزيده تعقيدا واغراقه في الصور البيانية لاستغسارا اذ لا يصيب القارئ معنى لها الا باللجوء الى معاجم اللغة ، وتفسير المفسرين . في حين ان جوهر الفن القصصي انه يسر ، وسهولة تكاد تكون تلقائية .

اما الداعي الثالث الذى يصرف القارئ عن المشاركة الفنية فهو ان الحريرى يشغل بتصوير نوافل وتفاصيل كثيرة . فهو في المقامة العاشرة مثلا يطيل في وصف الغلام كما يطيل في الوصف العام (١) حتى لا يتجلى من المقامة غير لوحات مكررة ، او مقلبة على وجوه ، استهدف فيها التفصيل على طريقة الواقعيين من الادباء بحيث نرى (١) التكرار في الوصف والتطويل ،

(٢) التقليب على المعنى الواحد ،

(٣) جمود الحركة والمعاني

(٤) العناية باللوحة التصويرية وتوقف تطور الاحداث

(٥) خلو المقامة من العقدة للانشغال بالتفاصيل .

اما ما ضمنه من شعر فقد استخدمه الحريرى ليكرر المعنى المراد ، او ليكمله ، وكثيرا ما تقطع هذه الاشعار الاستمرار الزمني ، وتكون حاجزا بين القارئ وجو المقامة .

يضاف اليها ما يستخدمه احيانا من الالغاز في المقامة الثانية والاربعين ، (٢) حيث يلقي ابوزيد الغازا في بعض الاشياء كقوله في مروحة الخيش :

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ٧١

(٢) سعد علي — المرجع نفسه ص ٣٤١

" وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها

لها سائق من جنسها يستحثها على انه في الاحثثات رسيلها

ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ويبدو اذا ولى المصيف قحولها .

او قوله ايضا :

" ثم كشر عن انيابه الصفر ، وانشد ملغزا في الظفر :

" ومرهوب الشبا نام وما يرعى ولا يشرب

يرى في العشر دون النحـر فاسمع وصف واعجب " (١)

وخلاصته ان هذه الاسباب الثلاثة التي اوردنا لتدل على انقطاع الصلة بين القارئ والمقامة ، أثرت على سياق الزمن الداخلي في المقامة . فانك تكاد لا تقع على التكامل النامي بين الاشخاص ، والاحداث ، والعقدة والسياق ليتحقق الزمن الداخلي ، فتنقطع المشاركة الفنية ببيت شعر او بقطعة شعرية ، او بصيغة بيانية ، او بلوحة تصويرية او بايراده لغزا عسير المنال . فينبتر الاستمرار الزمني ، ويشل الاتحاد ما بين الفن ومتذوقيه .

(٢) المقامة من حيث هي فن قصصي

يتبين مما تقدم بعد ما بين القصة ، على وجوهها وبين المقامة . وليس ههنا سبيل الى اقامة بحث يتناول ماهية الفن القصصي (٢) وتعيين المقومات الاساسية التي اصطلح النقاد عليها في تحديد هذا الفن . ناهيك ان مقاييسهم قد اختلفت باختلاف اتجاهات ارباب هذا الفن .

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٣٤٤

(٢) راجع : نجم محمد ـ فن القصة ، مختلف الفصول . وقد اعتمدنا ايضا المراجع التالية :

Allen W. "Reading A Novel"
Comfort A. "The Novel And Our Time"
Forster E. M. "A spects Of The Novel"
Liddell R. "A Treatise On The Novel"
Pritch ett V. S. "The Living Novel"

ولكنه " وبالاجمال يمكننا القول بأن القصة انما تستمد مذاقها وحرارتها ونبضها بالحياة الفريدة من الميزة الخيرية والزمنية للبيئة . ولكن هذه العناصر الثلاثة : العمل والاشخاص والوسط هي قوى ينبغي ان تترابط وتتواصل حتى لتخلق كلا واحدا منسجما حيا يكمن فيه اعجاز الخلق الفني : اكساب الحياة نائبا عنها أوفر حقيقة وحياة منها هي بالذات " . (١)

ويعرف الاستاذ محمد نجم القصة بقوله :

"القصة مجموعة من الاحداث يرويها الكاتب ... وهي تتناول حادثة اوعدة حوادث ، تتعلق بشخصيات انسانية مختلفة ، تتباين اساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الارض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثر والتأثير " . (٢)

أضف ان ثمة قواعد ثابتة لا تكون قصة الا بها ، وفيها تجاهه مراعاة : الحوادث ، الاشخاص ، العقدة ، تطور الزمن ، الحل ، وتكوين الوحدة .

وغني عن البيان اننا شئنا ان نظهر التجاور ما بين المقامة والفن القصصي عامة ، وأن الموازنة التي تتبادر للذهن ، في اول وهلة ، انما تساق بين المقامة والاقصوصة تجاهة .

وقد ذكر محمد جميل سلطان في معرض كلامه على الخمذاني وتقارب ما بين المقامة الهمذانية والقصة القصيرة ما نصه :

"أصبحت المقامة بفضل ما أوتيه الهمذاني من ثقافة وخيال وفكر ، نوعا من الادب يقوم على كونه قصة صغيرة من ابداع الخيال ، او من تصوير الواقع وتحويره بما يرتضيه الخيال ، مكتوبة باسلوب انيق الجمل والالفاظ ، تنتهي فقراتها — على الاغلب — الى سجع لطيف ، وهي في مجموع ما فيها ترمي الى جمع شوارد اللغة وفصحها ، وعيون مفرداتها وتراكيبها ، وتدور حول بطل للقصة ، وراوية

---

(١) كورمو نيللي — "فيزيولوجية القصة " — مجلة الاداب ٢ : ٧٣

(٢) نجم محمد — فن القصة — ص ٧

قد يكون بطلا في بعض الاحيان ، ولا تكاد تخلو من نادرة او مفاجأة اوغرابة او كياسة او توقد في فكر البطل او الراوية ، او طرفة من الطرف اللطيفة ، ولا تكاد تغيب في انشائها عن خصائص القرن الرابع الهجرى في نثره الفني من اقتباس وتضمين وتورية وحكم وامثال وغير ذلك من المحسنات اللفظية والمعنوية .

فالمقامة على هذا الشكل ، نمط جديد في الادب العربي ، وبناء جميل يقوم على دعامتين اصليتين : اولاهما حادث واقع او مخترع ، والثانية اسلوب مزين مصقول ، له خصائصه الفنية المعروفة التي انتهى اليها تطور الكتابة " . (١)

ويقول دارس آخر بهذا الصدد :

" وبذلك ترى ان التنويع في المواضيع وهو من اصول الاقصوصة معدوم في مقامات الكدية . وليس التنويع في حيل الاسكندرى سوى تنويع فرعي لا يخرج عن دائرة التكدية . ونرى من جهة ثانية ان المقامات لم تأت قصة واحدة فتنسج حول هذا الموضوع الموحد حوادث متلاحمة متسلسلة . فبين المقامة والاقصوصة قربى قوامها ان المقامة تصور حادثة عابرة او موقفا خاصا من حياة الفرد في دائرة ضيقة غير مترامية الحواشي . لكن المقامة تختلف عن الاقصوصة في انها لا تهتم الا ببطل واحد هو ابو الفتح الاسكندرى . وبذلك تتشابه مواقف ابي الفتح تشابها كليا احيانا ولا تختلف الا في اساليب احتياله ، بينما تستقل كل اقصوصة بموضوعها الخاص وحوادثها الخاصة " . (٢)

ويتضح للدارس ، على فارق ما بين المقامة الهمذانية والمقامة الحريرية ~~على مقامات الحريري ايضاء~~ ~~فالعنصر العامل الذي يدفع المقامات الحريرية ، واحد ، الا وهو موضوع~~ ان هذا الكلام ينطبق

---

(١) سلطان محمد جميل — فن القصه والمقامة ص ١٥ — ٢١

(٢) المك فكتور — بديعات الزمان ص ٩٨

الى حد بعيد على مقامات الحريرى ايضا . فالمحرك العامل الذى يدفع المقامات الحريرية ، واحد ، الا وهو موضوع الكدية ، وقد يعالج الحريرى الموضوع نفسه في عدة مقامات ، وتدور جميعا حول بطل واحد .

وكثيرا ما تنحصر المقامة في معالجة حيل السروجي وتهمل من عداه من الاشخاص . وقد ذكرنا في تحليلنا للاشخاص ان الحارث والسروجي هما الشخصان اللذان تدور عليهما حوادث القصة . وثمة اشخاص يدخلون في حيل السروجي ، الا ان المقامة لا تكشف عما بينهم وبين البطل من علاقة ولا عن تطور احوالهم النفسية . اضف ان المقامة الواحدة لا تعطي صورة كاملة ناجزة للبطل او للراوية ، وانما نجد ملامح الشخصية مبعثرة في عدة مقامات ، وقد ربطناها فيما بينها حتى تبينت لنا جوانب من شخصية السروجي ببعض الوضوح ، وشخصية صديقه الحارث .

وقد بان لنا ان المشاركة الفنية بين القارئ وبين المقامة من حيث هي قصة مشاركة متقطعة ، مبتورة ، وأكبر الظن ان انقطاع صلة الوصل ما بين القارئ وبينها انما يعود :

١ — الى اغراق الحريرى في طلب النادر من اللفظ .

٢ — الى عنايته المسرفة في صيغ البديع بحيث يغلب اللفظ قيمة على المضمون القصصي .

٣ — الى ان الحريرى يتلهى بتصوير تفاصيل ونوافل تقطع الاستمرار الزمني وتشل الاتحاد بين الفن ومتذوقيه .

ونحن نعلم ان الهدف الرئيسي الذى رمى الحريرى اليه من تأليفه المقامات اظهار مقدرته اللغوية مجاراة لذوق أهل زمانه في الاسلوب المصنوع المسجع . وقد ذكر متز في كتابه عن هذه الناحية فقال :

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ٨ و ٢١٣ وكذلك ص ٣٩ و ١٠٥ و ١٢٢ و ١٩٣ وكذلك

"فهذه القدرة كانت موجودة ونلاحظها في القصص الشعبية . ولكن السبب هو ان المقامات كانت ولا تزال أدبا يؤلف للبلغاء ، وهؤلاء لا يعنون بربط اجزاء القصة بعضها ببعض وانما يعنون بالالفاظ والاساليب البليغة " (١)

ولشوقي ضيف رأى في هذا الموضوع جاء فيه :

" ليست المقامة اذن قصة وانما هي حديث ادبي بليغ . وهي أدنى الى الحياة منها الى القصة . فليس فيها من القصة الا ظاهر فقط . اما في حقيقتها فحيلة يعرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة ومن جهة ثانية على اساليب انيقة ممتازة . بل ان الحادثة التي تحدث للبطل لا اهمية لها اذ ليست هي الغاية ، انما الغاية التعليم والاسلوب الذى تعرض به الحادثة . ومن هنا جاءت غلبة اللفظ على المعنى في المقامة . فالمعنى ليس شيئا مذكورا وانما هو خيط ضئيل تغشى عليه الغاية التعليمية . ولعل ذلك ما جعل المقامة منذ ابتكرها بديع الزمان تنحو نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاتها ، فالجوهر فيها ليس اساسا . وانما الاساس العرض الخارجي والحيلة اللفظية . وكان لذلك وجه من النفع فان الادباء انساقوا الى الثروة اللفظية واخذوا يبتكرون صورا جديدة للتعبير ولكن في حدود سطحية . وكأنما الجموا عقولهم واطلقوا السنتهم ، فلم يتجهوا بالمقامة الى وصف حوادث النفس وحركاتها ولا الى الافساح للعقل كي يعبر عن العواطف ويحللها ، وانما اتجهوا بها الى ناحية لفظية صرفة اذ كان اللفظ فتنة القوم وكان السجع كل ما لفتهم من جمال في اللغة واساليبها ، وكانت الوان البديع كل ما راعهم منها ومن اسرارها " . (٢)

---

(١) متز آدم ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ٤١٢
ص ٣٣٨ و ٣٦٢

(٢) ضيف شوقي ـ المقامة ص ٩

وقد وجدنا في بعض المقامات (١) ان الحريري يسخر العناصر التي يجب ان تتكون منها القصة في سبيل ابراز براعته اللفظية ، فيجهد نفسه في عرض مواهبه الشعرية وما أوتي من بلاغة وفصاحة . ويسرف في هذا المذهب حتى تكون مفارقة جوهرية بين اسلوب المقامات واسلوب القصة ، أليس من المتعارف أن البساطة من دعائم القصة ، وان الحريري يغرق في التعقيد ولا يراعي هذه البساطة في السرد والسهولة في الاداء القصصي ، بل هو يذهب في اغراقه الى الطرف الاقصى المناقض لهذه البساطة بالذات ؟

بل ان العقدة نفسها تنعدم او تكاد في بعض المقامات . فنلقى أحيانا ان الحادثة التي تبنى عليها المقامة ، او الحيلة التي تدور حولها المقامة ، قد تقلصت بداعي انغماس الحريري في الاسلوب المنمق . فالعقدة التي هي أساس من الاسس التي تبنى عليها القصة فتوحد بين اجزائها وحوادثها وتبرز اشخاصها ، لتحل حلا طبيعيا ، فأنك تبحث عنها فلا تقع لها احيانا على أثر .

ومع ذلك فأننا نجد بعض الادباء ينتصرون للحريري وفنه القصصي ، كمثل ما هو يرى أحدهم :

"ان المقامة جزء من فن القصة الحديثة ، وان ضاق افقها ، ويحق لنا ان نفخر بأن هذا الفن وليد الشرق ، فقد كتب الحريري مقاماته في اواخر المئة السادسة للهجرة او اوائل المائة الثانية عشرة للميلاد والغرب في سبات عميق " . (٢)

ويضيف آخر قائـــــلا :

"سمى الافرنج الحريري امام فن القصص . ففي الحريري تنسيق وتدبير وتمهيد للمرامي ، وتفلسف مطول في الاجزاء ، فالزمان زمانه ، والمكان الذى يتكلم عنه والمدن التي يذكرها ، والحوادث

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٣٩ ـ ١٠٥ ـ ١١٥ ـ ١٢٢ ـ ١٥٩ وغيرها

(٢) شيوب خليل ـ مقامات الحريري وترجمتها الى اللغات الاوربية مجلة الثقافة عدد ١٤٨ ص ١٣٩٣

هي ما كان يجرى في الاندية والمآدب والمحاكم والجوامع والاسفار في يومه . اضف الى هذا احساطا في السياسة ، الغاية منه الاختفاء عن عيون ذوى البطش المنتقد عليهم سلوكهم " (١)

وعلى هذا الغرار يضرب زكي طليمات فيقول :

"المقامات ليست اذن الا اقصوصة او فكاهة صيغت باسلوب أدبي ، وفق طريقة الادب الشائعة في عصر تأليفها ، موضوعها احد اعمال هذه الطائفة او احدى حيلها ومفارقاتها في الوصول الى اللقمة او اكتساب اسباب العيش " . (٢)

وخلاصة القول فان الموازنة ما بين المقامة والقصة بمعناها الحصرى لا تبدو ميسورة لوجود فوارق في جوهر الفنيين ، وتباين في المقومات نفسها . وقد يجوز اعتبار المقامة نوعا من الاقصوصة اللاهية التي نشأت في بيئة خاصة تطلبتها ظروف ذلك العصر . وكانت غاية المقامة اظهار براعة اللفظ والاسلوب المنمق ، لا الاعتناء بشخصية البطل او الراوية او الاهتمام بالحوادث التي تحركها . وحسبك ان تكون الاسس الجوهرية متفاوتة ليكون اختلاف في الماهية . ومع ذلك فان المقامة واقعة في اطار الحكاية المسرودة في المجالس أيا كان المثير . ففيها المكان والزمان ، والاشخاص والاطار ، وفيها شيء ينتظر ، ووضع يرتقب ، ولكنها خلت من الخلق ، واعوزتها هذه الهزة التي لا تحد ، واعوزها المناخ الذى يثير الحلم والتأمل ، ويبعث على الانتظار الحرّان .

---

(١) قربان توفيق — "الحريرى" مجلة الكلية ١٨ : ٨٤

(٢) طليمات زكي — أهل الكدية — ص ١٠١

٦ - الفكاهة في المقامـــات

قليلا ما تخلو مقامات الحريري من عنصر المرح والفكاهة ، ولربما كان هذا سببا مـــن الاسباب التي جعلت الناس يقبلون عليها . والطرافة ان عنصر الفكاهة فيها يتغير في مختلـــف مقاماته فهو تارة يستعمل اللفظ أداة ليعبر عن الموقف الذي يصوره ، وطورا يصف لنا أبا زيد متخفيا في زي غريب ، او هو يثير الضحك في وصفه حركات السروجي ، او يعتمد السخر ايضا بترسم طبائع الاشخاص في المقامة .

وبهذا تتوفر في مقامات الحريري أسس الضحك التي عرض لها الفيلسوف برغسن في كتابـه اذ جعل ركائز الضحك خمسا :

" مضحك بتصوير الاشكال ، ومضحك بتصوير الحركات ، ومضحك برسم المواقف ، ومضحك اللفظ ، ومضحك الطبائع " (١)

ويقول في النوع الاول ما ترجمته :

" كل تشويه قابل لان يقلده شخص سليم يمكن ان يصبح مضحكا " (٢) . وقد يـمزج الحريري ما بينها في المقامة الواحدة ، أو قل انه يقول حينا على احداها ، ليرتكز على أخرى بعد جملة او مقطع . ولربما كان عنصر الظرف ، وعنصر اعتماد التصنيع واللغة أبرز ظاهرتين في ظاهرات المقامات الحريرية . اما مضحك الاشكال عند الحريري فلنا عليه أمثلة عدة ، فتراه مثلا يصف لنا ابا زيد متعاميا :

---

(١) Bergson H. "Le Rire" p. 1 - 51 - 101

(٢) المرجع نفسه ص ١٨

" طلع شيخ في شملتين ، محجوب المقلتين ، وقد اعتضد شبه المخلاة ، واستقاد لعجوز كالسعلاة ، فوقف وقفة متهافت ، وحيا تحية خافت ، ولما فرغ من دعائه ، احال خمسه في وعائه ، فأبرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ ، في اوان الفراغ ، فناولهن عجوزه الحيزبون ، وأمرها بأن تتوسم الزبون . . . " (١)

ونجد هنا اننا لا نضحك لما يصف به الحريري الشيخ والعجوز فحسب ، وانما نضحك ايضا لاستعمال الحريري الفاظا قصد بها التهكم والعبث ، امثال "السعلاة" و "الحيزبون". فالكاتب يعمد الى جهاز من المضحكات اللفظية يضمنها فقرة واحدة ، وهذا ما برز الحريري فيه .

ويصف لنا الحريري ابا زيد وهو يحضر مجلسا :

" وكان حذقهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان ، وبيده سبحة النسوان ، وفي عينه ترجمة النشوان ، وقد قيد لحظه بالجمع ، وأرهف اذنه لاستراق السمع . . . " (٢)

اما بشأن المضحك بالحركة فيقول برغسن :

" ان اوضاع الجسم الانساني واشاراته وحركاته تكون مضحكة على قدر ما يذكرنا هذا الجسم بالآلة . . . فاذا ما رأيت الان حركة من الذراع او من اليد تتكرر هي عينها بصورة دورية فلاحظتها ، فتوقعتها ، فحصلت في اللحظة التي توقعتها فيها ، ضحكت على غير ارادة منك . لماذا ؟ لانك الان بازاء اداة تعمل بصورة آلية ، فليس هذا بعد من الحياة ولكنه الالية المستقرة

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٤٨

(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ـ ص ٨٤

في الحياة والتي تقلد الحياة . انه المضحك " . (١)

ونجد انفسنا احيانا نضحك عندما يصف لنا الحريري الحركات التي يؤديها بعض الاشخاص في المقامة كقوله :

"قال لم يزل الشيخ مذ خرج ، يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ، ويغرد بملء شدقيه ، ويقول :

"كدت أبلى ببليـــة	من وقاح شمريـــة
وأزور السجن لولا	حاكم الاسكندريــة

فضحك القاضي حتى هوت دنيته ، وذوت سكينته ، فلما فاء الى الوقار ، وعقب الاستغراب ~~بالاستغراب~~ بالاستغفار ، قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين " . (٢)

ونجد هنا حركة في تصوير ما يقوم به الشيخ من اعمال ، وما يقوم به القاضي من حركات ، وهذا ما يدفعنا الى الضحك لان الحركات بحد ذاتها مضحكة . وخروج عن المألوف من مسلك الشيخ واداب القاضي ، وتراخ في الارادة العاقلة ، ووقوع في الالية .

ويصف لنا الحريري العروس في المقامة الصورية ، فيصور لنا اقبالها احسن تصويـــر اذ يقول : (٢)

(١) Bergson H. "Le Rire" p. 2 2 - 24 - 25

(٢) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٦٩

" وقد أقبل الملك يميس في بردته ، ويتبهنس بين حفدته ، فحين جلس كأنه ابن ماء السماء ، نادى مناد من قبل الاحماء ، وحرمة ساسان استاذ الاستاذين ، وقدوة الشحاذين ، لاعقد هذا العقد المبجل ، في هذا اليوم الاغر المحجل ، الا الذى جال وجاب ، وشب في الكدية وشاب ، فأعجب رهط الصهر ما اشاروا اليه ، وأذنوا في احضار المنصوص عليه ، فبرز حينئذ شيخ قد احال الملوان قامته ، ونور الفتيان ثغامته ، فتباشرت الجماعة باقباله ، وتبادرت الى استقباله ، فلما جلس على زربيته ، وسكت الضوضاء لهيبته ، ازدلف الى مسنده ، ومسح سبلته بيده " . (١)

وهنا نضحك لدخول العريس وهو يتمايل ويتبختر ، ثم لهيئة الشيخ وطريقة دخوله ومسحه لحيته بيده . وهنا نجد ان الالفاظ تساعد على الضحك كاستعمال "يتبهنس" و "زربيته" .

اما مضحك المواقف — فيقول بشأنه برغسون :

"ان اهم العوامل التي تؤثر على مضحك المواقف ثلاثة :

(١) تكرار الالفاظ : لنضع القانون الذى يحدد في رأينا اهم العوامل المضحكة في تكرار الكلمات على المسرح : ثمت طرفان في تكرار الكلمات الهزلية عامة ، عاطفة مكبوتة تنفلت كما ينفلت النابض ، وفكرة تلهو بحبس هذه العاطفة من جديد . (ص ٥٥)

(٢) قلب الالفاظ او المواقف — اذا خلطنا بعض الشخصيات في موقف ما ، وجعلنا الموقف ينقلب ، وجعلنا الادوار تنعكس ، حصلنا على مشهد هزلي (ص ٧١) .

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية : ص ٢٣٤ و ٢٣٥

(٣) تداخل السلاسل — كل موقف يضحك ان انتسب في الوقت ذاته الى سلسلتين من الحوادث مستقلتين استقلالا مطلقا ، وأمكن ان يفسر في آن واحد بمعنيين متغايرين كل التغاير (ص ٧٤) " . (١)

اما الحريري فنجده يستعمل بعض هذه العوامل لابراز مضحك المواقف كوصفه للقاضي في المقامة العاشرة الذى يرتشي ويغلب على امره لكثرة تحايل السروجي عليه ، بطرق شتى ، منها عرضه عليه غلامه فيستملحه القاضي ويعفو عنه :

"حكى الحارث بن همام قال : هتف بي داعي الشوق ، الى رحبة مالك بن طوق ، فلبيته ممتطيا شملة ، ومنتضيا عزمة مشمعلة ، فلما ألقيت بها المراسي ، وشددت امراسي ، وبرزت من الحمام بعد سبت راسي ، رأيت غلاما افرغ في قالب الجمال ، وألبس من الحسن حلة الكمال ، وقد اعتلق شيخ بردته ، يدعي انه فتك بابنه ، والغلام ينكر عرفته ، ويكبر قرفته ، والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار ، الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللدد ، بالتنافر الى والي البلد ، وكان ممن يزن بالهنات ، ويغلب حب البنين على البنات ، فاسرعا الى ندرته ، كالسليك في عدوته ، فلما حضراه ، جدد الشيخ دعواه ، واستدعى عدواه ، فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته ، وطرعقله بتصفيف طرته ، فقال انها افيكة افاك ، على غير سفاك ، وعضيهة محتال على من ليس بمغتال ، فقال الوالي للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين ، والا فاستوف منه اليمين ، فقال الشيخ انه جدله خاسيا ، وافاح دمه خاليا ، فأنى لي شاهد ، ولم يكن ثم مشاهد ، ولكن ولني تلقينه اليمين ، ليبين لك أيصدق ام يمين ، فقال له انت المالك لذلك ، مع وجدك المتهالك

---

(١) Bergson H. "Le Rire" de la P. 55 à la p. 74

على ابنك الهالك ، فقال الشيخ للغلام قل والذى زين الجباه بالطرر ، والعيون بالحور ، والحواجب بالبلج ، والمباسم بالفلج ، والجفون بالسقم ، والانوف بالشمم ، والخدود باللهب ، والثغور بالشنب والبنان بالترف ، والخصور بالهيف ، انني ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ، ولا جعلت هامته لسيفي غمدا.(١)

وفي هذه المقامة نضحك للمواقف التي يصورها لنا الحريرى ، فأبو زيد يصف لنا حالته وكيف ان الغلام فتك بابنه ، ثم كيف ذهبا الى القاضي فاستحلع الغلام وابقاه عنده ، فعفا عنه . فموقف ابي زيد ثم موقف الغلام ، ثم موقف القاضي ، كل هذه المواقف المتعددة تثير الضحك في نفسنا وتعبر لنا عن براعة الحريرى في اثارته .

وقد وفق الكاتب في تصوير المواقف المضحكة كما حدث في المقامة الثلاثين ، (٢) حين يخطب ابوزيد ويزوج مكدية لمثلها ، وفي المقامة الرابعة والثلاثين ، (٣) حين باع ابوزيد ولده في صفة غلام واشتراه الحارث .

اما مضحك اللفظ ، فقد استعمله الحريرى كثيرا في مقاماته ، فما خلت منه واحدة . وقد ذكر برغسون ما ترجمته :

---

(١) سعد علي المقامات الادبية — ص ٧٠

(٢) سعد علي — المرجع نفسه — ص ٢٣٢

(٣) سعد علي — المرجع نفسه ص ٢٧٢

" يجب ان نفرق بين المضحك الذى يعبر عنه اللفظ وبين المضحك الذى يولده اللفظ . فالاول يمكن ان يترجم من لغة الى أخرى مع انه يخسر قسما من قيمته عندما ينتقل الى مجتمع جديد ذا عادات مختلفة ، وخصوصا بطريقة ترابط افكاره ، فهو لا يعبر بواسطة اللغة - عن بعض الهفوات المتعلقة بالاشخاص والحوادث . ولكن النوع الثاني لا نقدر ان نترجمه ، فهو قائم على مبنى الجملة او اختيار الكلام ، انما يظهر الهفوات اللغوية نفسها وحينذاك يصبح مضحكا " . (١)

ونجد كذلك الحريرى يستعمل اللفظ ليعبر عن موقف كما حدث في المقامة الاربعين في خصام ابي زيد وامرأته :

" ... فزخر ابوزيد زخير الشواظ ، واستشاط استشاطة المغتاظ ، وقال لها ويلك يا دفار يا فجار ، يا غصة البعل والجار ، اتعمدين في الخلوة لتعذيبي ، وتبدين في الحفلة تكذيبي ، وقد علمت اني حين بنيت عليك ، ورنوت اليك ، الفيتك أقبح من قردة ، وأيبس من قدة ، واخشن من ليفة ، وانتن من جيفة ، وأثقل من هيضة ، وأقذر من حيضة ، وابرز من قشرة ، وابرد من قرة ، واحمق من رجلة ، واوسع من دجلة ، فسترت عوارك ، ولم أبد عارك ، على انه لو حبتك شيرين ، بجمالها ، وزبيدة بمالها ، وبلقيس بعرشها ، وبوران بفرشها ، والزباء بملكها ، ورابعة بنسكها ، وخندف بفخرها والخنساء بشعرها ، في صخرها ، لانفت ان تكوني قعيدة ، رحلي ، وطروقة فحلي " . (٢)

---

(١) Bergson H. "Le Rire" P; 79

(٢) سعد علي - المقامات الادبية ص٣٢٢

ففي هذه الاسطر – نجد ان الكلمة تضحكنا كقوله : دفار ، فجار ، شواظ ، غصة البعل والجار ، اقبح من قردة ، اييس من قدة ، اخشن من ليفة الخ ... ويعسر نقل هذه الالفاظ الى لغات أخرى لانها تفقد قيمتها بسبب طبيعة بنائها وتركيبها . ونحن نعلم ان المقامات ترجمت الى لغات عدة ، وقد صعب على المترجمين ترجمتها حرفيا كما يحدث في كثير من اللغات .

ومن الالفاظ المضحكة ما ذكره الحريري في المقامة الثلاثين عندما يزوج مكد لمكدية فيصف المكدي بقوله :

"وهذا ابو الدراج ز ولاج بن خراج ، ذو الوجه الوقاح ، والانف الصراح ، والهرير والصياح ، والابرام والالحاح ، يخطب سليطة اهلها ، وشريطة بعلها ، قنبس بنت ابي العنبس لما بلغه من التحافها ، بالحافها ، واسرافها ، في اسفافها ، وانكماشها ، على معاشها ، وانتعاشها ، عند هراشها ، وقد بدل لها من الصداق شلاقا وعكازا ، وصقاعا وكرازا ، فانكحوه انكاح مثله ، وصلوا حبلكم بحبله ، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ، واسأله ان يكثر في المصاطب نسلكم ، ويحرس من المعاطب شملكم ، ما استغرق حد الاكثار ، واغرى الشحيح بالايثار ، ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم اراذله .." (١)

وفي المقامة التاسعة ، تصف امرأة السروجي حالها وتقول :

---

(١) سعد علي – المقامات الادبية – ص٢٣٦

"فلما استخرجني من كناسي ، ورحلني عن أناسي ، ونقلني الى كسره ، وحصلني تحت اسره ، وجدته قعدة جثمة ، وألفيته ضجعة نومة ، وكنت سحبته برياش وزى ، وأثاث ورى ، فما برح يبيعه في سوق الهضم ، ويتلف ثمنه في الخصم والقضم ، الى ان مرق مالي بأسره ، وانفق مالي في عسره" . (١)

والان ننتهي الى بحثنا من مضحك الطبائع ، وقد قال برغسن في ذلك : " ان الطبع ممكن ان يكون طيبا او شريرا ، فذلك لا يهمنا كثيرا ، أما اذا كان مخلا بالعرف الاجتماعي فعندها يصبح مضحكا . فمضحك الطبيعة يقوم على ثلاثة دعائم : كون الشخص غير اجتماعي ، وعدم احساسية المتفرج ، والية الشخص .

ان تصوير الطبائع - أي تصوير نماذج من الاشخاص - هو المضحك بذاته . فالمهزلة مثلا تقدم لنا نماذج ، وهي وحدها ، دون سائر الفنون ، تهتم بالطبائع العامة .. " (٢)

اما عند الحريري ، فنجد ان شخصية البطل نفسه مدعاة لاثارة الضحك وذلك لكثرة تفننه في الاحتيال ، ونجده في كل مقامة يأتي حيلة من طبيعة جديدة .

ففي المقامة الدينارية يمدح ابوزيد الدينار ، ثم يذمه فينقلب من مادح الى ذام .
وفي المقامة السابعة يتعامى ابوزيد

---

(١) سعد علي - المقامات الادبية - ص ٦٢

(٢) Bergson H. "Le Rire" p. 111 - 114

" وحين التأم جمع المصلى وانتظم ، وأخذ الزحام بالكظم ، طلع شيخ في شملتين ، محجوب المقلتين ، وقد اعتضد شبه المخلاة ، واستقاد لعجوز كالسعلاة ، فوقف وقفة متهافت ، وحيا تحية خافت " (١)

وفي المقامة الثالثة عشرة ، يتراءى لنا بصورة عجوز مكدية : " فلما غاض در الافكار ، وصبت النفوس الى الاوكار ، لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد ، وقد استتلت صبية انحف من المغازل ، وأضعف من الجوازل " (٢)

فهل كان غرض الحريري تثقيفيا في تصويره ؟ أم تراه رمى الى الفكاهة والامتاع وما جاوز ؟ على هذا يقول الدكتور ضيف معلقا :

لم يقصد الحريري بفكاهته الى شيء من تقويم النفس وتربيتها ، وانما قصد الى الهزل والترفيه " . (٣)

غير اننا نستبعد هذا القطع بغاية الحريري ، ونتردد في التسليم بهذا الرأي الذي يبديه العلامة شوقي ضيف وقد يتهيأ للباحث ان الحريري لم يقصد الترويح عن النفس ويقتصر عليه ، فقد تكون له غاية تثقيفية ايضا ، فنجده في المقامة الاولى مثلا يسخر من الوعاظ والخطباء في المسجد الذين ينهون الناس عن كل شيء ، ولكن يسمحون لانفسهم بالاشياء الممنوعة ، اتراه اراد سخرا وحسب ؟ أم تراه شاء الفاظا ووعظا حيث يقول :

"" فاتبعته مواريا عنه عياني ، وقفوت اثره من حيث لا يراني ، حتى انتهى الى مغارة ، فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه ، وغسل رجليه ، ثم هجمت عليه ، فوجدته مثافنا لتلميذ ، على خبز سميذ ، وجدي حنيذ ، وقبالتها خابية نبيذ " (٤)

---

(١) سعد علي - المقامات الادبية - ص ٤٨
(٢) سعد علي - المرجع نفسه ص ٩٣
(٣) ضيف شوقي - المقامة - ص ٧٩
(٤) سعد علي - المقامات الادبية ص ١٢

وعلى مثاله ما جاء في المقامة الثامنة والعشرين ،حين ينتهي الواعظ من خطبته واذ به يقول :

"وحين انتشر جناح الظلام ، وحان ميقات المنام ، احضر اباريق المدام ، معكومة بالقدام ، فقلت اتحسوها امام النوم ، وانت امام القوم ، فقال : مه ، انا بالنهار خطيب ، وبالليل اطيب". (١)

ويتحدث الحريري عن موضوع الخمر نفسه في المقامة الخامسة والثلاثين ويذكر كيف ربى ابوزيد بكرا وطالبه بما يجهزها به وكنى بذلك عن الخمر :

"فازدلف مني ، وقال اتقه عني :

" قتل مثلي يا صاح من المدام ليس قتلي بلهذم او حسام

والتي عنست هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكـــرام

ولتجهيزها الى الكأس والطا س قيامي الذى ترى ومقامي

فتفهم ما قلته وتحكـــم في التغاضي انشئت اوفي الملام " (٢)

ففي البيت الاخير ما ينبيء بان هذا الظرف لم يترك وشأنه ، وان المؤلف كان يفطن ايضا الى القيمة الاخلاقية التي توارث وراءه .

ويقول الدكتور خلف الله :

"ان مرجوليوث يقول ان مقامات البديع الى اقرب الى ((Mimes)) يا الحركات الهزلية التي تصور فيها مناظر من الحياة تصويرا تقليديا " ثم يضيف : "مع ان الغرض الاصلي مـن المقامات هو الترويح عن النفس والامتاع ، فليست كلها من هذا النوع بل ان منها ما يعتبر ادبا تثقيفيا رفيعا ، وينجلي هذا الخصوص في مقامات الحريري " . (٣)

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ص ٢١٨

(٢) المرجع نفسه ــ ص ٢٨٧

(٣) خلف الله محمد ــ ادب الفكاهة في التأليف العربي ــ الثقافة ص ١٧

اما الدكتور حتي فيعلق على الموضوع نفسه قائلا :

"في مقامات الحريرى شيء غير الصناعة البيانية والنكتة الادبية التي يعتبرها اكثر القراء مزيتها الوحيدة ، اذ كثيرا ما تستخدم النكتة الادبية بشكل خفي لنقد ظاهرة اجتماعية ، او توجيه النظرة لعبرة اخلاقية " . (١)

والخلاصة ان مقامات الحريرى تعبر تعبيرا صادقا عن الحياة الاجتماعية في ذلك الحين ، وقد وفق الحريرى في وصف ناحية من مجتمعه لانه صبغ المقامات بصبغة لا تخلو من رسوم الحياة الاجتماعية في بعض وجوهها ، فجعلها محببة الى النفس . وتيسر له بعض الظرف وروح الفكاهة المضحك ، بتلاعب في اللفظ يستعمله ، او بوصف يسبغه على احد الاشخاص ، او بحركة يقوم بها اشخاصه او بلفتات عارضة الى الطبائع البشرية .

هذه الاسباب كلها أضفت على المقامات روحا من الفكاهة والطرافة جعلت الناس يقبلون عليها في عصر الحريرى ، وبعد عصره .

---

(١) حتي فيليب - تاريخ العرب ٢ : ٤٩

٧ ـ الاسلـــــوب

أ ـ المنثور

مرّ بنا اذ عرضنا للحالة السياسية في القرن الخامس هجرى ان الاحزاب السياسية ضعفت ضعفا عظيما ، وتطاحن الاهلون للاستيلاء على الحكم . ومع ان فن الخطابة ضعف في العصر العباسي ، الا ان الفن الترسلي قويت دعائمه واخذت العلوم تدون فاحدث ذلك نهضة واسعة في التدوين والتأليف . (١)

والذى نلاحظه في أدب ذلك العهد ، ظهور التصنيع بكثرة في الرسائل الديوانية ، وفي النثر عامة . ونعزى اسباب هذا التصنيع الى عوامل شتى أهمها :

(١) التطور الحضارى : وذلك ان الحياة العربية تغيرت تغييرا جذريا ، فأصبح الناس يعيشون عيشة ملؤها الزخرف والزينة ، ولا تمت الى الحياة العربية القديمة بشيء . وربما كان سبب هذا الترف ارتفاع مستوى المعيشة ، فأصبح الناس يتطلبون مستوى آخر لمعيشتهم هذه . وكان من الطبيعي ان ينتقل ترفهم الاجتماعي الى حياتهم الادبية ، لانه يعبرعن زمانهم الذى عاشوا فيه ، ولذلك كثر التصنع والتنميـــق في الادب .

(٢) التأثر بالفنون الفارسية : بدأت الكتب الفارسية والكتب الاجنبية الاخرى تترجم ، فانتشرت الثقافة الاجنبية وأثرت على العقل العربي تأثيرا مرموقا . وكان لطغيان الادب الفارسي أثر هام ، وهو ظهور الادباء الفارسيين امثال ابن المقفع الذى له منزلة خاصة في الادب العربي وخاصة النثر العربي ، وسهل بن هارون الذى اجاد في صنع هذه الكتابات الادبية .

---

(١) راجع ضيف شوقي ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ ٤٤ وما بعد

والمقدسي انيس ـ تطور الاساليب النثرية ـ ص ١٣٩ وما بعد .

(٣) نمو الذوق الارستقراطي : نتيجة للاسباب المذكورة اعلاه ، تعددت متطلبات الذوق وتكثفت ، فمال الى الزخرف والتعقيد في الاداء والتوشية والتنميق في الكتابة . وأصبح الامراء والملوك انفسهم يهتمون بالامور الادبية ويشيرون على الادباء بالكتابة . اليس ان الوزير ابن صدقه هو الذى اشار على الحريرى ان يكتب مقاماته ؟ ألم تكن الطبقة الارستقراطية تغذى هذا الادب ، فيراعى فيه ذوقها وتتجه تلبية لهذا الذوق ، فيتخلى الاديب اجمالا عن نفسه استجابة لهذا الذوق المترف ؟ ألم يكن النثر بحاجة في أمت صلة بالبلاط والدواوين ؟

(٤) ركود الحياة : ظهر لنا انه حصل ركود في الحياة في مختلف مظاهرها ، وركد الادب الذى هو تعبير عن الحياة نفسها . فقل اختراع الادباء ، وتتضاءل الفكر ، وانحرف الادب الى الصناعة فانحدت المعرفة ، وشل التوليد ، وصرف الهم الى المبنى والصيغة عن اختراع المعاني البكر ، وتصوير الحقائق الانسانية .

(٥) الحريرى يمثل الخط البياني الذى اتجه في التأنق الفني للتعبير :

ظهرت المقامة كلون جديد في فنون النثر العربي . وأوردنا ان مقامة الحريرى تدور على خبر يرويه الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي . ولشد ما يعتمد السجع بحيث لا تخلو منه مقامة من مقاماته . ولئن صح ان بديع الزمان ينعتق احيانا من السجع المكثف (١) ، فان الحريرى يلتزمه على افراط ولا يحيد عنه .

---

(١) الكك فكتور – بديعات الزمان ص٨٦ : "الا ان بديع الزمان لم يجرفه ذلك التيار كما جرف ابن العميد والصاحب بن عباد ، فهو وان اتخذ السجع له رائدا يجنح في بعض الاحيان الى التفلت من ثقل كابوسه . وذلك عندما يريد العبور من موضوع الى آخر ، او يبغي السرعة في تقليب حوادث حكايته . وهذا واضح في عدة مواضع نمثل عليها بالمقامة المكفوفية (ص٧٨) .

ومن خصائص اسلوب الحريرى :

(١) ـ الافراط في استخدام البديع المعنوى واللفظي .

ـ البديع المعنوى ـ

استعمل الحريرى البيان في مقاماته . فالاستعارة مثلاً ، بنيت عليها المقامات ، وقلما يوجد بيت يخلو منها كقوله :

سل الزمان علي عضبه ليروعني وأحد غربه (١)

فهنا يستعير الحريرى السيف للزمان ، ويعني ان الزمان جرد سيفه الماضي ليفزعني وشحذ حده .

او قوله : واحمل اذاه ولو امضك مسه
واسال غرب الدمع منك وافرغا (٢)

وهنا يستعير الغرب وهو الدلو الكبير ويشبه غزارة الدمع به . ويعني : احمل اذاك ولو اوجعك مسه ولو اسال الدمع بكثرة وافرغها .

ومن طرق البديع التي يستعملها المطابقة كقوله :

"ونقلني من وقذ الكرب الى روح الطرب ." (٣)

أى نقله من الهموم الى السرور .

او قوله : "تجلى في سواد وبياض" (٤)

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص١٢٨
(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ص١٥٦
(٣) سعد علي ـ المقامات الادبية ص١٠٦
(٤) سعد علي ـ المرجع نفسه ص٥٥

ويستعمل الحريري التشبيه ايضا . فهو يأتي في المقامة الثانية على ذكر انواع التشبيه عند الشعراء ثم يأتي ببيتين جميلين :

"سألتها حين زارت نضو برقعها ال

قاني وايداع سمعي اطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر

وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر" (١)

وفي هذين البيتين نرى الحريري يستعمل الاستعارة والتشبيه في آن واحد . فيذكر الحريري شفقا وهو يرى نقابا احمر ، ويذكر سنا قمر وهو يرى ضوء وجهها ، ويذكر لؤلؤا من خاتم عطر ، وهو يريد كلاما من فم او يريد ثنايا بيضاء كاللؤلؤ .

ومن تشابيه الحريري قوله :

" وأصلت لسانا كالعضب الجراز " (٢)

ويعني بذلك انه اصلت عليه لسانا كالسيف الماضي ، القاطع .

اما الكناية فقد استعملها الحريري في مقاماته ، ولكن دون ان يكثر منها واذا رجعنا الى المقامة التاسعة عشرة الملقبة بالنصيبية (٣) نجده يكني عن الموت بابي يحيى ، وعن الجوع بابي عمرة ، وعن الخوان بأبي جامع ، وعن الخبز الحوارى بأبي نعيم ، وعن الجدى بأبي حبيب ، وعن الخل

(١) سعد علي — المرجع نفسه ص ١٨

(٢) سعد علي — المقامات الادبية ص ١٠٢

(٣) سعد علي — المرجع نفسه ص ١٤٤

بأبي جميل ، وعن الملح بأبي عون ، وعن البقل بأبي جميع ، وعن السكباج بام القرى ، وعن الهريسة بام جابر ، وعن الفالوذج بأبي العلاة ، وعن الطست والابريق بالمرجفين . وقد وشح الحريري مقاماته بالكنايات ليعقد اسلوبها ، ونجدها في اغلب مقاماته كقوله :

"الا م سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي مما الاقي " (١)

- البديع اللفظي -

بلغت بالحريري طواعية استخدام السجع حتى يكاد افتعاله يغدو مزاجا وطبعا ، فيأتي السجع تلقائيا على قلمه . وقد استعمل الحريري انواعا عديدة منه بحيث يضحي الاسلوب المسجع في المقامة نموذجا رائعا للزخرف ، والتنميق والصناعة التي انتهى اليها النثر في زمانه ، كأن يقول في المقامة الديناريه : (٢)

---

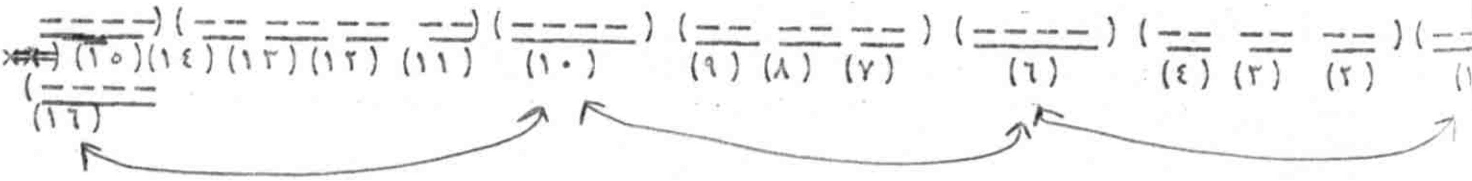
(١) سعد علي - المقامات الادبية ص ١٨٠

(٢) م.ن. - ص ٢٠

" روى الحارث بن همام قال : (نظمني واخوانا لي ناد (١) ، لم يخب فيه مناد ، ولا كبا قدح زناد ، ولا ذكت نار عناد ،)(بينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ونتوارد اطراف الاسانيد ،) (٢)(اذ وقف بنا شخص عليه سمل ، وفي مشيته قزل) (٣) (فقال : يا أخاير الذخائر ، وبشائر العشائر)(٤) (عموا صباحا ، وانعموا اصطباحا) (٥)(وانظروا الى من كان ذا ندى وندى ، وجدة وجدا ، وعقار وقرى ، ومقار وقرى)(٦) (فما زال به قطوب الخطوب ، وحروب الكروب ،) (٧)(وشرر شر الحسود ، وانتياب النوب السود)(٨ (حتى صفرت الراحة ، وقرعت الساحة) (٩) (وغار المنبع ، ونبا المربع ، وأقوى المجمع ، واقض المضجع)(١٠) (واستحالت الحال ، واعول العيال) (١١) (وخلت المرابط ، ورحم الغابط) (١٢) (وأودى الناطق والصامت ، ورثى لنا الحاسد والشامت) (١٣) و وال بنا الدهر الموقع ، والفقر المدقع) (١٤) (الى ان احتذينا الوجى) ، واغتذينا الشجا ، واستبطنا الجوى ، وطوينا الاحشاء على الطوى) (١٥) (واكتحلنا السهاد ، واستوطنا الوهاد ، واستوطأنا القتاد ، وتناسينا الاقتاد) .(١٦)

وهذه القطعة مؤلفة من عدة سجعات

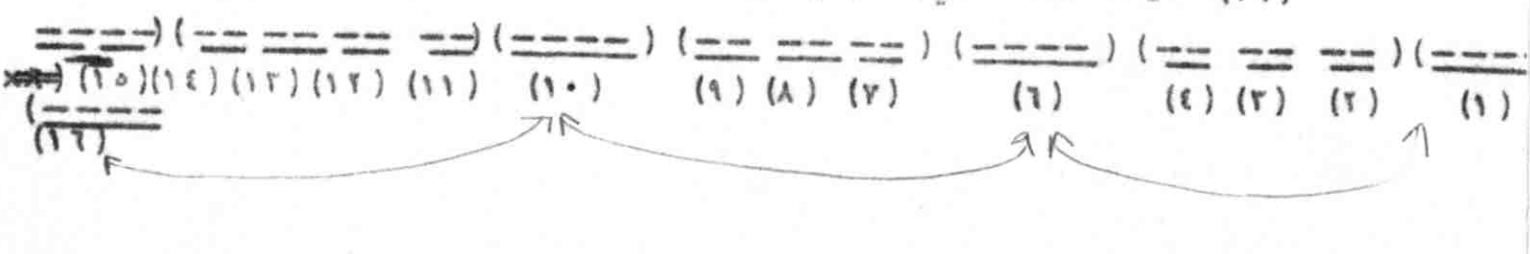
(١) مؤلفة من ٤ سجعات وكل سجعة تنتهي بالحرف نفسه (د)
(٢) من سجعتين تنتهي بالحرف نفسه (د)
(٣) من سجعتين تنتهي بالحرف نفسه (ل)
(٤) من سجعتين تنتهي بالحرف نفسه (ر)
(٥) من سجعتين تنتهي بالحرف (ح)
(٦) من ٤ سجعات تنتهي على نفس الحرف الهمزة
(٧) من سجعتين تنتهي بنفس الحرف (ب)
(٨) من سجعتين تنتهي بنفس الحرف (د)
(٩) من سجعتين تنتهي بنفس الحرف (ت)
(١٠) من ٤ سجعات تنتهي بنفس الحرف (ع)
(١١) من سجعتين تنتهي بالحرف (ل)
(١٢) من سجعتين تنتهي بالحرف (ط)
(١٣) من سجعتين تنتهي بالحرف (ت)
(١٤) من سجعتين تنتهي بالحرف (ع)
(١٥) من ٥ سجعات تنتهي بالحرف (ى)
(١٦) من ٤ سجعات تنتهي بالحرف (د)



"روى الحارث بن همام قال : (نظمني واخوانا لي ناد (١) ، لم يخب فيه مناد ، ولا كبا قدح زناد ، ولا ذكت نار عناد ،)(بينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ونتوارد اطراف الاسانيد ،) (٢)(اذ وقف بنا شخص عليه سمل ، وفي مشيته قزل) (٣) (فقال : يا أخاير الذخائر ، وبشائر العشائر)(٤) (عموا صباحا ، وانعموا اصطباحا) (٥) (وانظروا الى من كان ذا ندى وندى ، وجدة وجدا ، وعقار وقرى ، ومقار وقرى)(٦) (فما زال به قطوب الخطوب ، وحروب الكروب ،) (٧)(وشرور شر الحسود ، وانتياب النوب السود)(٨) (حتى صفرت الراحة ، وقرعت الساحة) (٩) (وغار المنبع ، ونبا المربع ، وأقوى المجمع ، واقض المضجع(١٠) (واستحالت الحال ، واعول العيال) (١١) (وخلت المرابط ، ورحم الغابط) (١٢) (وأودى الناطق والصامت ، ورثى لنا الحاسد والشامت) (١٣) و وال بنا الدهر الموقع ، والفقر المدقع) (١٤) (الى ان احتذينا الوجى) ، واغتذينا الشجا ، واستبطنا الجوى ، وطوينا الاحشاء على الطوى) (١٥) (واكتحلنا السهاد ، واستوطنا الوهاد ، واستوطأنا القتاد ، وتناسينا الاقتاد) .(١٦)

وهذه القطعة مؤلفة من عدة سجعات

(١) مؤلفة من ٤ سجعات وكل سجعة تنتهي بالحرف نفسه (د)
(٢) من سجعتين تنتهي بالحرف نفسه (د)
(٣) من سجعتين تنتهي بالحرف نفسه (ل)
(٤) من سجعتين تنتهي بالحرف نفسه (ر)
(٥) من سجعتين تنتهي بالحرف (ح)
(٦) من ٤ سجعات تنتهي على نفس الحرف الهمزة
(٧) من سجعتين تنتهي بنفس الحرف (ب)
(٨) من سجعتين تنتهي بنفس الحرف (د)
(٩) من سجعتين تنتهي بنفس الحرف (ت)
(١٠) من ٤ سجعات تنتهي بنفس الحرف (ع)
(١١) من سجعتين تنتهي بالحرف (ل)
(١٢) من سجعتين تنتهي بالحرف (ط)
(١٣) من سجعتين تنتهي بالحرف (ت)
(١٤) من سجعتين تنتهي بالحرف (ع)
(١٥) من ٥ سجعات تنتهي بالحرف (ى)
(١٦) من ٤ سجعات تنتهي بالحرف (د)



وبذلك نقع على موسيقى داخلية تؤلف بين السجعات المختلفة فنجد السجعة الاولى تتفق مع السجعة السادسة والعاشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة بالطول ثم الثانية والثالثة والرابعة والخامسة تتفق مع السجعات السابعة والثامنة والتاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة .

ونجد ان الحريري يستعمل الجناس في سجعه ، فمثلا هنا نجد الكلمات الاتية : (ناد - مناد) (زناد - عناد) (اطراف - طرف) (صباحا - اصطباحا) (ندى وندى) (جدة وجدا) (عقار ومقار) (قرى وقرى) الخ ...

وقد ذكرنا في بدء الحديث ان الحريري استعمل الجناس والسجع اكثر من استعماله انواع البديع اللفظي . وسنذكر قسما من المقامة الثامنة : (١)

" أخبر الحارث بن همام قال : (رأيت /١/ من أعاجيب الزمان ، ان تقدم خصمان ، الى قاضي معرة النعمان ، احدهما قد ذهب منه الاطيبان ، والاخر كأنه قضيب البان) (فقال الشيخ : /٢/ أيد الله القاضي ، كما أيد به المتقاضي) (انه كانت لي مملوكة رشيقة /٣/ القد ، اسيلة الخد ، صبور على الكد ، تخب احيانا كالنهد ، وترقد اطوارا في المهد ، وتجد في تموز مس البرد) (ذات عقل وعنان ، /٤/ وحد وسنان ، وكف ببنان ، وفم بلا اسنان) (تلدغ بلسان فضناض /٥/ ، وترفل في ذيل فضفاض ، وتجلى في سواد وبياض ، وتسقى ولكن من غير حياض) " .

وهنا نجد ان السجعة الاولى تتضمن خمسة سجعات :

(١) الاولى والثانية والثالثة على ختام مقطع واحد (زمان وخصمان والنعمان) ثم الرابعة والخامسة (طيان والبان) . وهذه السجعة طويلة .

---

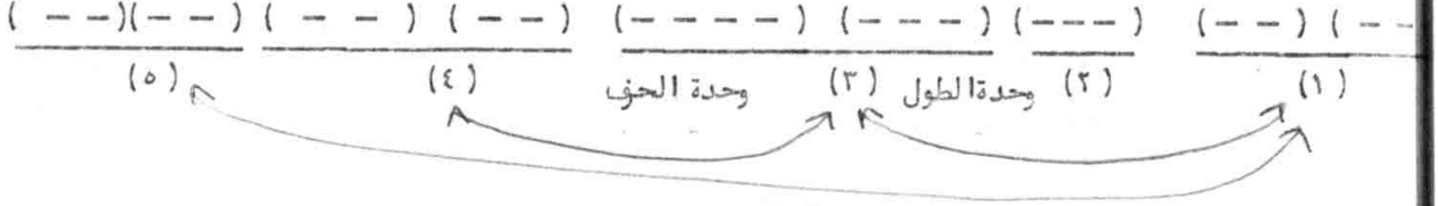
(١) سعد علي - المقامات الادبية - ص ٥٥

(٢) ثم السجعة الثانية قصيرة وتحتوى على سجعتين .

(٣) تحتوى هذه السجعة على ست سجعات وتنتهي بالحرف نفسه (د) .

(٤) تحتوى هذه السجعة اربع سجعات على نفس الحرف .

(٥) تحتوى اربع سجعات ـ الاوليان منهما على حرف واحد (فضفاض ـ نضناض) والاخريان على حرف واحد (بياض ـ حياض) وهذه السجعة تشابه السجعة الاولى في تركيبها .



(تشابه في التركيب)

التناغم والجرس

وهنا نجد نوعا من الموسيقى اللفظيــة تتداخل بين السجعات ، وهذا ما وفق الحريرى الــى اظهاره ، فيتولد نغم خاص ، اوجرس خاص تساق فيه الحروف على تجاوب ، وتكامل ، ويشيع التناغـــم في وحدة متكاملة .

واذا رجعنا الى المقامة ككل ، نجد انه كثيرا ما تطول السجعات لديه حتى أخذ ابن الاثيـــر هذا التطويل على الحريرى ، فيقول فيما ينعاه عليه : (١)

---

(١) ابن الاثير ـ المثل السائر ١ : ١٩٨ و ١٩٩

" لقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية ، على غرام الناس بها ، واكبابهم عليها فوجدت الاكثر من السجع فيها على الاسلوب الذى انكرته ... فالكلام المسجوع اذا يحتاج الى اربعة شرائط الاولى : اختيار مفردات الالفاظ ، الثانية : اختيار التركيب ، الثالثة : ان يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى ، لا المعنى للفظ ، الرابعة : ان تكون كل واحدة من الفقرتين له المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه اختها ، فهذه اربعة شرائط لا بد منها " . (١)

ونتهي بالقول ان الحريرى لم يعمد دائما الى السجع الطويل ، فهو يتفنن في ذكر انواع السجع ، ويورد امثلة عديدة عليها .

اما المستشرق بلاشير فيردف قائلا :

"علينا ان نعترف بمهارة اسلوب الحريرى ، ولا ريب ان الادب العربي لم يعرف كاتبا استطاع ان يقلب اللغة بتلك السهولة مثله ، ولا بتلك المهارة وان يستولي على المفردات وعلى علم البيان بتلك القوة ، وان يتجنب هذا التفخيم المصنع الذى وقع فيه اكثر كتاب السجع منذ القرن الحادى عشر" . (٢)

ونحن نرى أحيانا ان الادب عند الحريرى يتحول الى زركش فني ، ونعني بذلك ان الكاتب لم يعد يهتم بمضمون المقامة قدر اهتمامه بمبنى الكلمات ، واحوائها ، وصيغ تركيبها . وقد أخرج بعض المقامات على صورة جديدة ، أى انه صعب اداءها ، وأغرق ، وأغرب ، فخرج عن حقيقة الفن ، ما خلا الزخرف ، على نحو ما جاء في الرسالة الخيفاء ، وقد ضمنها المقامة السادسة ونورد قسما منها ههنا :

---

(١) ابن الاثير — المثل السائر ١ : ١٩٨ و١٩٩

(٢) Blachère R. "al-Hamadhani Choix de Maqamat" p. 46

"الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين ، واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين ، والاروع يثيب ، والمعور يخيب ، والحلاحل يضيف ، والماحل يخيف ، والسمح يغذى ، والمحك يقذى ، والعطاء ينجي ، والمطال يشجي ، والدعاء يقي ، والمدح ينقي والحر يجزى ، والالطاط يخزى ، ~~واطلح~~ واطراح ذى الحرمة غي ، ومحرمة بني الا آمال بغي ، وماضن الا غبين ، ولا غبن الا ضنين ، ولا خزن الا شقي ، ولا قبض راحة تقي ، وما فتىء وعدك يفي ، وآراؤك تشفي ، وهلالك يضي ، وحلمك يغضي ، والاؤك تغني ، واعداؤك تثني ، وحسامك يفني ، وسوددك يقني ، ومواصلك يجتني ، ومادحك يقتني ، وسماحك يغيث ، وسماؤك تغيث ، ودرك يفيض ، وردك يغيض ، ومؤملك شيخ حكاه فيء ، ولم يبق له شيء ، أملك بظن حرصه يشب ، ومدحك ينخب مهورها تجب" . (١)

فيبلغ به الافتتان مبلغا بعيدا اذ يرتاض بمثل هذه الرياضة فيورد كلمة معجمة والاخرى مهملة .
ولا يتغافل عن استخدام الجناس ايضا كقوله : (يزين — يشين)(الاروع — المعور) (يضيف — يخيف) (يغذى — يقذى) (يقي — ينقي) (يجزى — يخزى) الخ ...

ففي هذه الرسالة يتجلى فنه البياني ، ومهارته في تقليب اللغة على هواه . ومع اننا نعجب لبراعته ، فاننا نعتقد انه غلا فأسرف في تعمل التعقيد .

وفي المقامة السابعة عشرة ، يورد الحريري رسالة أخرى تقرأ من اولها بوجه ومن آخرها بوجه آخر :

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية ص ٤٢

" فان شئت ان تنثر ، ولا تعثر ، فقل مخاطبا لمن ذم البخل ، واكثر العذل :

(لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) وان احببت ان تنظم ، فقل للذى تعظم :

" أس ارملا اذا عرا   وارعَ اذا المرء أسا
اسند اخا نباهة   ابن اخاء دنسا
أسل جناب غاشم   مشاغب ان جلسا
أسر اذا هب مرا   وارم به اذا رسا
اسكن تقوّ فعسى   يسعف وقت نكسا " (١)

وهنا ايضا نجد ان المبنى يغلب على المعنى ، ولا نعود نلذ قراءة المقامة من حيث هي حكاية تسرد ، او رواية تلهي .

وللحريرى رسالة أخرى احد حروفها منقوط والاخر معجم وقد تضمنها المقامة السادسة والعشرين :

" أخلاق سيدنا تحب ، وبعقوته يلب ، وقربه تحف ، ونأيه تلف ، وخلته نسب ، وقطيعته نصب ، وغربه ذلق ، وشهبه تأتلق ، وظلفه زان ، وقويم نهجه بان ، وذهنه قلب وجرب ، وعة ونعته شرق وغرب :

---

(١) سعد علي – المقامات الادبية – ص ١١٨

"سيد قلب سبوق مبر فطن مغرب عزوف عيف

مخلف متلف أغر فريد نابه فاضل ذكي أنوف

مفلق ان ابان طب اذا نا ب هياج وجل خطب مخوف

معاظم شرفه تأتلف ، وشؤبوب حبائه يكف ، ونائل يديه فاض ، وشح قلبه غاض ، وخلف سخائه يحتلب ، وذهب عيابه يحترب ، من الف لفه فلج وغلب ، وتاجر بابه جلب وخلب .. " (١)

وهنا يتضح لنا التعقيد الذى انتهى اليه الحريرى في اسلوبه ، وأصبح لا يهتم الا بالزركشة الفنية والزخرف .

والحريرى رصع مقاماته ووشاها بتعقيدات أخرى فضمنها امثلا عديدة في المقامة الوبرية ، (١) والمقامة الحجرية ، (٢) وحكما في المقامة القهرية . (٣) اما الاحاجي النحوية فقد وقف لهـــا المقامة النحوية (٤) ، فعرض فيها لطائفة من احاجي النحو ومشاكله ، وقد خصص للغة مقامة سماها المقامة الطيبية (٥) ذكر فيها مائة مسئلة فقهية .

ويبلغ الحريرى ذروة التعقيد في الرسالتين السينية والشينية . حيث اعتمد في الاولى حرف السين فالزمه في كل كلمة اوردها :

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ١٩٨

(٢) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٢٠٢

(٣) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٢٩٧

(٤) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ١٢٢

(٥) سعد علي ـ المرجع نفسه ـ ص ١٧٨

(٦) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٢٤٨

"باسم السميع القدوس استفتح ، وباسعاده استنجح ، سيرة سيدنا الاسفهسلار السيد النفيس سيد الرؤساء سيف السلاطين حرست نفسه ، واستنارت شمسه ، واتسق أنسه ، وبسق غرسه استمالة الجليس ، ومساهمة الانيس ، ومساعدة الكسير ، والسليب ، ومواساة السحيق والنسيب ، والسيادة تستدعي استدامة السنن ، وحراسة الرسم الحسن ، وسمعت بالامس تدارس الالسن سلافة/ خند ريسه ، في سلطه سلسال كوسه ، ومحاسن مجلس مسرته ، واحسان سمعة سيادته ... " (١)

والتزم في الرسالة الشينية حرف الشين في كل كلمة :

"بارشاد المنشي ، أنشي ، شغفي بالشيخ شمس الشعراء ريش معاشه ، وفشا رياشه ، واشرق شهابه ، واعشوشبت شعابه ، يشاكل شغف المنتشي بالنشوى ، والمرتشي بالرشوى ، والشادن بشرخ الشباب ، والعطشان يشم الشراب ، وشكرى لتجشمه ومشقته ، وشواهد شفقته " ... (٢)

وفي هاتين الرسالتين ، نجد ان الحريرى بلغ أوج تعقيده ، لانه عبث بالالفاظ واستعملها لتكملة بناء الرسالة ، ولم يستعملها للايضاح عن معنى او لقية صورية . ولا تعدو الرسالتين ان تكونا اشكالا هندسية لفن استعمله الحريرى ليرضي اهل زمانه . وكثرا ما كان الكاتب يحتال لارضاء هذا الذوق بمتحف من الزخرف اللفظي .

بهذا الاجهاد المسرف أخلت المقامات الحريرية بأصل اساسي من أصول الادب الحق من حيث فيض داخلي ، وقفية انسانية .

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ٤٤٢

(٢) سعد علي المرجع نفسه ص ٤٤٤

ونجد ان خليل شيبوب من الادباء الذين آثروا المقامات فرفعوها اذ يقول :

" تمتاز مقامات الحريري باشراق اسلوبها ونصاعة عبارتها ، وهي لدى التأمل لا كلفة فيها الا ما ندر في اسجاعها السلسة وسياقها العربي الاصيل . واذا مل القارئ احيانا من جرس اللفظ ، فانه يعتاض عن مله بالفوائد التي يصيبها مما في الكتاب من ملح ادبية ، وانواع بديعية ، ونكات تاريخية" (١)

ونجد حسن الزيات يشيد بالمقامات ويجدها تحفة فنية ، ولكن مع ذلك ، يجد ان الحريري تكلف كثيرا في اسجاعها وأثقل ابياته بالجناس . (٢)

اما بلاشير فيجد ان الحريري تكلف كثيرا حيث يقول :

" يخلط الحريري بين الفن والتكلف ، وبين الطبع والتلاعب الكلامي . فان بعض مقاماته تتعب الناقد من حيث الجهد الذي ليس وراءه غاية ، ومن ناحية الصعوبة التي يذللها الكاتب بعد لأي . وهكذا نجد ان محتوى المقامة يضحي ذا أهمية ثانوية ، اذ المؤلف لا يهمه سوى الاسلوب . فالحريري يستعمل كثيرا من المحسنات اللفظية كما فعل في المقامة المراغية (ص ٢٩) ، والمقامة القهقرية (١٢٢) والمقامة الشعرية (١٦٦) ومثلها مقاماته التي اظهرت مقدرته اللغوية وهي المقامة الخامسة عشرة ، والسادسة والثلاثون ، والثانية والاربعون ، والرابعة والاربعون " . (٣)

اما سبب هذا التكلف والتعقيد في مقامات الحريري ، فيعود الى ان الكاتب قد حمل على مثل هذا الاداء المزين ارضاء لذوق الناس او طبقة معينة منهم ، وتدمر ان عصر الحريري كان عصر علم البديع ، والتفنن اللغوي ، ويعلق الدكتور ضيف على ذلك فيقول :

---

(١) شيبوب خليل ـ مقامات الحريري وترجمتها الى اللغات الاوربية ـ مجلة الثقافة ٢ : ١٣٩٢

(٢) الزيات حسن ـ موازنة بين مقامات الحريري ومقامات البديع ـ الحديث ٢ : ٢٠٦

(٣) Blachère R. "al-Hamadhani Choix de Maqamat" p. 47

"الاسلوب غاية الحريرى ، وقد حاول ان يلائم بين عصره وبين مقامته " . (١)

والحقيقة ان اللفظ الذى هو وسيلة ، يضحى عند الحريرى غاية ، فهو يستعمل الالفاظ احيانا ليتلهى بها ليس غير ، كأنما انحصر طربه بالبهلوانية الكلامية . وتراه يستخدم اللفظ الغريب النادر ، والقديم الذى قصر علمه على ارباب الادب . ويفرط حتى تضحى الالفاظ عائقا يقطع الاستمرار الزهني والوصل ما بين القارئ والقصة بذاتها . حتى غدا هذا الجهد المنمق من مطاعن هذه المقامات ، ومعرتها من حيث هي فن قصصي ، كما تقدم . فوقع في مهبطات الجمود ، ورسف في القوالب المتحجرة ، وكأنه ايذان بعصور الانحطاط .

غير ان النقاد الذين نحوا باللائمة على الحريرى لغلوه في استخدام المحسنات البديعية ، فوجدوا انه تطرف في اسلوبه حتى رأى بعضهم انه بلغ السخف . ولكننا يجب ان نفهم الحريرى من خلال عصره — كما نفهم اى كاتب من خلال دراستنا لعصره — فهو اعتمد الاسلوب الذى كان يطيب لاهل زمانه . واعرب عن مزاجه الادبي اللغوى ، وجدير بالذكر ان المقامات تعكس ثقافة الحريرى من نواحيها اللغويـــة والدينية ، بما اورده من الخطب والامثال والاخبار ، والاحاجي .

فضلا عن الشعر الكثير فلا تكاد تخلو مقامة من المقامات مـــن هذه العناصر المختلفة ، وقـــد ذكر الحريرى نفسه :

---

(١) ضيف شوقي — "المقامة " ص ٦٨

انها تحتوي على : " ما وشحتها به من الايات ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الامثال العربية ، واللطائف الادبية ، والاحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبرة " . (١)

ب ـ الشعر في مقامات الحريري ـ

نجد الحريري نفسه يقول :

" ورأس مالي سحر الكلام الذي ... منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختا ... ر اللالي منها وأنتخب " (٢)

لم يعرف الحريري كشاعر ولكنهم ذكروه ناثرا مرموقا ، غير ان ما تضمنته المقامات من شعر ، يحدونا على دراستها من هذا المنحى . تضمنت المقامات الفا ومئة وسبعة وعشرين بيتا من الشعر .

ويقول الحريري في مقدمته للمقامات :

" ... ولم أودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين ، اسست عليهما بنية المقامة الحلوانية ، واخرين توأمين ، ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية ، وما عدا ذلك فخاطري ابو عذرة ، مقتضب حلوه ومره " (٣)

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٥ و ٦

(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٦٤

(٣) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٦

وقول الحريري هذا يدل على طول باعه في صناعة الشعر ، واذا قرأنا مقاماته ، بدا لنا انه لا تخلو مقامة واحدة من الشعر ، بنسبة ليست بيسيرة . وكثيرا ما يعتمد الشعر اساسا للمقامة كما سنورد ذلك بعد حين .

اما البيتان الفذان اللذان قال الحريري انه أودعهما المقامة الحلوانية ، فالبيت الاول للبحتري :

" كأنما تبسم عن لؤلؤ منضد ابو برد او أقاح " (١)

والبيت الثاني لابي الفرج الوأواء الدمشقي :

" فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد " (٢)

اما البيتان التوأمان فسماهما الحريري كذلك لانهما للقائل واحد وهو ابن سكرة : (٣)

وعندما نقرأ شعر الحريري نجد تنازعا ما بين الطبع والصنعة ، فنشعر ان بعض أبياته نتيجة لذلك الدفق الداخلي الطبيعي ، بينما نجد له أبياتا أخرى اعتمد فيها الصياغة البيانية ، شأنه في نثره .

ومن اجمل ابيات الحريري قوله في ثغر :

" نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب ومن بـرد ومن أقاح ومن طلع ومن حبب " (٤)

---

(١) سعد علي المقامات الادبية ص١٦

(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ص١٨ ـ ملاحظة : وروى هذا البيت ايضا على انه ليزيد بن معاوية

(٣) سعد علي ـ المرجع نفسه ص١٩٢

(٤) سعد علي ـ المرجع نفسه ص١٧

فالحريري يأتي باستعارات جميلة في هذين البيتين ، ويعني ان فمها يتبسم عن اسنان بيضاء كاللؤلؤ ، او الاقحوان ، او الطلع وهو اول حمل النخلة وهو الفرن ، فاذا انشق فهو الضحك وبه تشبه الاسنان في بياضه .

ومن ابياته التي اجاد فيها التشبيه قوله :

" سألتها حين زارت نضو برقتها القـ ـاني وايداع سمعي اطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمـــر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر " (١)

ويعني الشاعر انه عندما ازاحت حبيبته برقعها الاحمر ، ظهر وجهها فكنى عنه بالقمر ، وشبه كلامها باللؤلؤ ، وفمها بالخاتم العطر .

ويظهر الحريري هنا كشاعر موهوب لان اسلوبه سهل ، ولفظه جيد ، ونشعر بعدم التكلف في هذه الابيات .

ومن أبيات الحريري التي أودعها روح النكتة قوله :

" تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لاقرع باب الفرج

وألقي حبلي على غاربـــي وأسلك مسلك من قد مرج

فان لامني القوم قلت اعذروا فليس على اعرج من حرج " (٢)

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ١٨

(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٢٥

ومن الابيات التي يظهر الحريري بصفة الواعظ قوله :

(من البحر الكامل)

" يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار

دار منى ما اضحكت في يومها ابكت غدا بعدا لها من دار

واذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الاخطار

كم مزدهي بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ونزت لاخذ الثار

فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى من غيرها ما استظهار

واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الاسرار

وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار

واعلم بان خطوبها تفجا ولو طال المدى وونت سرى الاقدار " (١)

وهذه الابيات سلسة ، بسيطة ويرويها ابوزيد في المقامة الثالثة والعشرون ويدعي للوالي ان ابنه سرق الابيات منه فحذف جزأين ، ونقص من اوزانها وزنين .

ومن ابيات الحريري وصفه للوالي وقد افتن بولد أبي زيد وتظهر لنا هنا روح السخرية ايضا ، اذ ينشد :

---

(١) سعد علي - المقامات الادبية ص١٦٩

" قل لوالٍ غادرته بعد بيني · سادما نادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه · لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه · عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما يجدى طلاب الاثار من بعد عين " (١)

وأحيانا نجد الحريرى يورد أبياتا كما فعل في المقامة الثالثة والعشرين كلها قائمة على التجنيس ، فيها ، كما في نثره من جرس وتناغم :

" وأحوى حوى رقي برقة ثغره · وغادرني الف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وانني · لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره · وأرضى استماع الهجر خشية هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما · اجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة · وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه · وأكبره عن ان افوه بكبره
له مني المدح الذى طاب نشره · ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى · علي وغيرى يجتني رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت اعنتي · بدارا الى من اجتلي نور بدره
واني على تصريف أمرى وأمره · أرى المر حلوا في انقيادى لامره " . (٢)

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — ص ٧٥

(٢) سعد علي — المرجع نفسه — ص ١٧٢

وهذا الشعر يصور وله الوالي بالغلام وشغفه به ، وان دلنا على شيء فانما يدلنا على شاعرية الحريرى ، ليفرط في التجنيس على بعض ابتكار في المعاني .

ونجد ان شعر الحريرى لا يقل عن نثره من حيث نقاء الاسلوب وجودة اللفظ ، ولكنه لم ينبغ فيه لانه أفرط في تدبيج اللفظ وفرط في جانب المعنى . فالشعر مثل النثر ، أصبح ايذانا بعصر الانحطاط ، اذ غدا الشعراء عهدئذ وبعده مشغولين بالصيغ الكلامية .

وكثيرا ما أغرب الحريرى في استعمال الفاظه - كما اغرب في نثره - وأصبح طابع الصنعة يغلب على منظومه كقوله :

" لبست الخميصة أبغي الخبيصة ... وانشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي احبولة ... أريغ القنيص بها والقنيصة
والجأني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم أهب صرفه ... ولا نبضت لي منه فريصة
ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصة
ولو أنصف الدهر في حكمه ... لما ملك الحكم أهل النقيصه " (١)

نراه هنا يستعمل الفاظا مثل "شيصة" وهي أخبث السمك ، وعيصه "اى مأواه ، و "الخميصة" اى كساء ، و "الخبيصة" نوع من الحلوى ، فهذه الكلمات كلها ينفر منها السامع وتدل على انحراف في الذوق .

---

(١) سعد علي - المقامات الادبية - ص١٣

وفي المقامة الكوفية يشكو ابوزيد حاله فيقول :

" يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفهرا ... الى ذراكم شعثا مغبرا
اخا سفار طال واسبطرا ... حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا ... وقد عرا فناءكم معتـــرا
وأمكم دون الانام طـــرا ... يبغي قرى منكم ومستقـرا
فدونكم ضيفا قنوعا حـــرا ... يرضى بما احلولى وما آمرا
وينثني عنكم ينث البرا ." (١)

فالكلمات " اسبطرا " اى امتد وانبسط ، و"محقوقف" اى معوج ، "ومعتر" اى الذى يتعرض للسؤال ولا يسأل ،تقلل من قيمة الشعر وتقطع الموسيقى الشعرية ، مما يفسد المعاني .

ونرى الحريرى احيانا يستعين بالشعر ليلهى بالالفاظ يقلب اللفظ الواحد على وجوه معاينه ، ويطيب له اللفظ فيستعمله مكررا خصا بمعان مختلفة كقوله :

" سل الزمان علي عضبــه ... ليروعني وأحد غربــه
واستل من جفني كـرا ... ه مراغما وأسال غربــه
وأجالني في الافق أط ... وى شرقه واجوب غربــه
فبكل جو طلعـــة ... متغرب ونواه غربـــه " . (٢)

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص٣٣

(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ـ ص١٢٨

فالمعنى الاول لغربه حد السيف ، والثاني مجرى الدمع ، والثالث ضد الشرق ، والرابع مره ، والخامس بعيدة . وهو يستعمل الاستعارة ، فاستعار السيف الماضي القاطع ليعبر عن الزمان .

ولطالما استخدم الحريري التجنيس (١) كقوله في شعره في المقامة السابعة :

" لقد أصبحت موقوذا	بأوجاع واوجال
وممنوا بمختال	ومحتال ومختال
وخوان من الاخوا	ن قال لي لاقالي
واعمال من العما	ل في تضليع اعمالي
فكم أصلى باذحال	وامحال وترحال
وكم اخطر في بال	ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جا	ر أطفالي اطفالي
فلولا ان اشبا	لي اغلالي واعلالي
لما جهزت آمالي	الى آل ولا والي . " (٢)

ونلاحظ هنا استعماله التجنيس مرة او مرتين . ولكنه قد يسرف فيستخدمه في الشعر كاستخدامه في النثر .

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ، راجع ص١٢٧ - ١٧٢ - ١٨٤ - ٢٤١

(٢) سعد علي ــ المرجع نفسه ص٤٩

وفي قولـــه :

" بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت احشاءوه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردى فكم من محلق الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوى القربى فيقبح ان يرى على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شـــوى
واياك والشكوى فلم ترذا نهـــى شكا بل اخو الجهل الذى ما ارعوى عوى ". (١)

ويظهر ان الحريرى كان مولعا بكل انواع التجنيس ، واستعمله في مقاماته كانه هـــو وضع ذهني خاص ومزاج منحرف ، ونمط تأليفي ملتو .

وهناك مقامات قوامها الشعر كالمقامة الثالثة عشرة ، وتسمى الشعرية ، وقـــد أتينا على ذكرها في بدء حديثنا ، والمقامة الرابعة والاربعين وتسمى اللغزية ، لانها تتضمن انشاء ابي زيد قصيدة في الغاز تحتها تفسيرها اى ان المقامة برمتها تعتمد الشعر الملغز كقوله :

" رأيت يا قوم اقواما غذاءوهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب "

(بول العجوز) لبن البقر ، والعجوز ايضا من اسماء الخمر .

" ومسنتين من الاعراب قوتهم ان يشتووا خرقة تغنى من السغب " . (٢)

((الخرقـة)) القطعة من الجراد .

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ص ٤٠١

(٢) سعد علي ــ المرجع نفسه ص ٣٦٦

فالحريرى يكرر في هذه الابيات الفاظا ولكن يعنيها بمعان مختلفة ، وهذا نوع من انـــواع التفنن الكلامي . ويورد الحريرى ابياتا فيها الاحاجي والالغاز كقوله :

" ايها العالم الفقيه الذى فا ... ق ذكاء فماله من شبيه
افتنا في قضية حاد عنهـــا ... كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حــر ... تقي من امه وأبيـــــه
وله زوجة لها ايها الخبـــر ... أخ خالص بلا تمويـــــه
فحوت فرضها وحاز أخوهـــا ... ما تبقى بالارث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنـــا ... فهو نص لا خلف يوجد فيه " (١)

وقد اجاب الحريرى على هذه الاحجة بلغزاذ قال :

" قل لمن يلغز المسائل انــي ... كاشف سرها الذى تخفيـــه
ان ذا الميت قدم الشـــر ... ع اخا عرسه على ابن أبيـــه
رجل زوج ابنه عن رضـــاه ... بحماة له ولا غرو فيــــــه
ثم مات ابنه وقد علقـــت ... منه فجاءت بأبن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مـــراء ... واخو عرسه بلا تمويـــــه
فلذا حين مات أوجب للزو ... جة ثمن التراث تستوفيـــــه
وحوى ابن ابنه الذى هو في الا ... صل اخوها من امها باقيـــه
وتخلى الاخ الشقيق من الار ... ث وقلنا يكفيك ان تبكيـــــه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها ... كل قاض يقضي وكل فقيـــــه " . (٢)

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ١٠٩ – ١١٠
(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ١١٢

فنجد هنا ان الحريري يستعمل الشعر لاداء احاجيه ، فتفقد الابيات قيمتها الشعرية الخالصة ، وتصبح وسيلة للاغراق في البهلوانية الكلامية الخاوية .

وكما ان الحريري استعمل الالاعيب الكلامية في نثره ، نراه يستعملها ايضا في شعره ، فيروى لنا اشعارا تقرأ طردا اوعكسا كقوله :

" أس ارملا اذا عرا   وارع اذا المرء أسا
أسند أخا نباهة   ابن اخاء دنسا
أسل جناب غاشم   مشاغب ان جلسا
أسر اذا هب مرا   وارم به اذا رسا
اسكن تقو فعسى   يسعف وقت نكسا " (١)

أو يأتي على ابيات فيها كلمة منقوطة وكلمة غير منقوطة كقوله :

" سيد قلب سبوق مبر   فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد   نابه فاضل ذكي انوف
مخلق ان ابان طب اذا نا   ب هياج وجل خطب مخوف " (٢)

ويبني الحريري مقامته السادسة والاربعين على هذا الاساس ، فيورد الابيات العواطل اى العارية عن النقط :

" أعدد لحسادك حد السلاح   وأورد الامل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها   واعمل الكوم وسمر الرماح " . (٣)

---

(١) سعد علي ــ المقامات الادبية ص ١١٨
(٢) سعد علي ــ المرجع نفسه ص ١٩٨
(٣) سعد علي ــ المرجع نفسه ص ٣٨٤

ثم يأتي بمثال عن الابيات العرائس اى كل حروفها منقوطة :

" فتنتني تجـني   بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض   غنج يقتضي تغيض جفني " (١)

ثم الابيات الاخياف ، اى الكلمات احداها منقوطة والاخرى بغير نقط :

" اسمح فبث السماح زين   ولا تخب املا تضيـف

ولا تجز رد ذى سؤال   فتن أم في السؤال خف " (٢)

ثم الابيات المتائيم ، اى المتماثلة لان كل لفظين منها مجنسان تجنيسا خطيا :

" زينت زينب بقد يقد   وتلاه ويلاه نهد يهـد

جندها جيدها وظرف وطرف   ناعس تاعس بحد يحـد " (٣)

وينشد البيتين المطرفين اى جعل في طرفيهما علمان :

" سم سمة تحسن آثارها   واشكر لمن اعطى ولو سمسمة

والمكر مهما اسطعت لاتأته   لتقتني السودد والمكرمـة " (٤)

ثم يورد الحريرى ابياتا مما يشكل من ذوات السين :

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ٢٨٦

(٢) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٢٨٧

(٣) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٢٨٨

(٤) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ٢٨٩

" نقس الدواة وسخ الكف مثبته سيناهما ان هما خطا وان درسا

وهكذا السين في قسب وباسقة والسفح والنحس واقسر واقتبس قنسا " . (١)

ويورد الحريرى ابياتا للصاد تلتبس بالسين ، وما يجرى في السين والصاد ، وما عقد هجاء الافعال التي اخرها حرف اعتلال ، وما يتميز بين الظاد والضاد . (٢)

وهكذا يستخدم الحريرى في شعره الاساليب نفسها التي استعملها في نثره ، وقد تفنن في بعض الاحيان اكثر مما فعل في نثره . واشرنا الى الالاعيب التي ابتدعها في حينه . وهذا يدلنا على ان الشعر آنذن بعصر الانحطاط ايضا ، لان الشاعر لم يعد يهمه المعنى بقدر ما يهمه الشكل والعناية بالبلاغة والصيغ البيانية .

وايراد هذا التفنن الكلامي في الشعر يدلنا على ان الحريرى استعمل الشعر في مقامته لغرض ادبي يبين مقدرة على اللفظ خارقة . وهذا يسمح بالقول انه كان يلبى ذوق جمهور من القراء طاب له هذا الطراز من الادب المنمق .

وكثيرا ما نجد ان الحريرى لا يقدر ان يستغني عن شعره ، فهو مكمل للتأثير القصصي عنده . وقد رأينا ذلك واضحا في المقامة الثالثة ، الدينارية ، ونجده ايضا في غالبية المقامات ، (٣) ففي المقامة الرابعة عشرة المكية (٤) يتناوب ابوزيد وابنه في القاء الشعر ، وسنورد قسما من تلك المقامة :

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية ص ٢٩٠

(٢) سعد علي — المرجع نفسه من ص ٣٩١ الى ٣٩٥

(٣) راجع سعد علي ص ٥ و ١٤٣ و ١٥٤ و ٨٢ و ٤٨ و ٣٢٩ و ٣٩١ و ٣٤١ و ٣٦٦

(٤) سعد علي — المرجع نفسه ص ٩٩ الى ١٠٥

"حكى الحارث بن همام قال : نهضت من مدينة السلام ، لحجة الاسلام ، فلما قضيت بعون الله التفث ، واستبحت الطيب والرفث ، صادف موسم الخيف ، معمعان الصيف ، فاستظهرت للضرورة ، بما يقي حر الظهيرة ، فبينما انا تحت طراف ، مع رفقة ظراف ، وقد حمي وطيس الحصباء ، واعشى الهجير عين الحرباء ، اذ هجم علينا شيخ متسعسع ، يتلوه فتى مترعرع ، فسلم الشيخ تسليم أديب أريب ، وحاور محاورة قريب لاغريب ، فاعجبنا بما نثر من سمطه ، وعجبنا من انبساطه قبل بسطه ، وقلنا له ما انت ، وكيف ولجت ، وما استأذنت ، فقال اما انا فعاف ، وطالب اسعاف ، وسر ضري غير خاف ، والنظر الى شفيع لي كاف ، واما الانسياب الذي علق به الارتياب ، فما هو بعجاب ، اذ ما على الكرماء من حجاب ، فسألناه انى اهتدى الينا ، وبم استدل علينا ، فقال ان للكرم نشرا تتم به نفحاته ، وترشد الى روضه فرحاته ، فاستدللت بتأرج عرفكم ، على تبلج عرفكم ، وبشرني تضوع رندكم ، بحسن المنقلب من عندكم ، فاستخبرناه حينئذ عن لبانته ، لنتكفل باعانته ، فقال ان لي مأربا ، ولفتاي مطلبا ، فقلنا له كلا المرامين سيقضى ، وكلاكما سوف يرضى ، ولكن الكبر الكبر ، فقال أجل ومن دحا السبع الغبر ، ثم وثب للمقال ، الح كالمنشط من العقال وأنشد :

اني امرؤ أبدع بـي	بعد الوجى والتعب
وشقتي شاسعــــة	يقصر عنها خببي
وما معي خردلــة	مطبوعة من ذهـب
فحيلتي منســـدة	وحيرتي تلعب بــي
ان ارتحلت رأجلا	خفت دواعي العطب
وان تخلفت عن الر	فقة ضاق مذهبـــي ...

فقلنا له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك ، وعطب ناقتك ، وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك ، فلم مأربة ولدك ، فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك لا فض فوك ، فنهض نهوض البطل للبراز ، وأصلت لسانا كالعضب الجزاز وانشاء يقول :

يا سادة في المعالي — لهم مبان مشيدة
ومن اذا ناب خطب — قاموا بدفع المكيدة
ومن يهون عليهم — بذل الكنوز العتيدة
أريد منكم شواء — وجردقا وعصيدة
فان غلا فرقاق — به توارى الشهيده
او لم يكن ذا ولا ذا — فشبعة من ثريده
فان تعذرون طرا — فعجوة ونهيدة ....

قال الحارث بن همام : فلما رأينا الشبل يشبه الاسد ، أرحلنا الوالد وزودنا الولد ، فقابلا الصنع بشكر نشرا أرديته ، وأديا به دينه ، ولما عزما على الانطلاق ، وعقدا للرحلة حبك النطاق ، قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب ، او هل بقيت حاجة في نفس يعقوب ، فقال حاش لله وكلا ، بل جل معروفكم وجلى ، فقلت له غدنا كما دناك وافدنا كما افدناك ، اين الدويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة ، فتنفس تنفس من ادكر اوطانه ، وانشد والشهيق يلعثم لسانه :

سروج داري ولكن — كيف السبيل اليها
وقد أناخ الاعادي — بها واخنوا عليها
فوالتي سرت أبغي — حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء — مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع ، وآذنت مدامعه بالهموع ، فكره ان يستوكفها ، ولم يملك ان يكفكفها فقطع انشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولى ". (١)

يصف لنا الحريري في هذه المقامة دخول ابي زيد وابنه ثم يورد شعرا لكل منهما يعرض فيه لحالة كل منهما ، ثم كيف نفحهم الحاضرون بالنعم . وفي خاتمة المقامة نرثي لحالة السروجي حين يكشف لنا عن حاله لانه يعبر لنا عن حالة عاطفية مرّ بها .

وقد أوردنا في بدء دراستنا للمقامات ككل ، الغايات التي اودعها الحريري المقامة . ورأينا ان هنالك غايات ادبية ، وغايات خلقية ، وغايات اجتماعية بحثناها مفصلا . والذى نريد ان نقوله هنا ان الحريري استعمل شعره كما استعمل نثره للتعبير عن تلك الغايات المختلفة .

ثم ان شعر الحريري يكاد يكون تكرارا لما ورد عنه في نثره ، فهو يورد حادثة ، ويصف حالة ، ثم يورد الشيء نفسه في الشعر . ومن شواهدنا مما جاء في المقامة الثامنة والاربعين :

" روى الحارث بن همام عن أبي زيد السروجي قال : ما زلت مذ رحلت عنسي ، وارتحلت عن عرسي وغرسي ، أحن الى عيان البصره ، حنين المظلوم الى النصرة ، لما اجمع عليه ارباب الدراية ، واصحاب الرواية ، من خصائص معالمها وعلمائها ، ومآثر مشاهدها وشهدائها ، واسأل الله تعالى ان يوطئني ثراها ، لافوز بمرآها ، وان يمطيني قراها ، لاقتري قراها ، فلما احلفنيها الحظ ، وسرح لي فيها اللحظ :

رأيت بها ما يملاء العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ راجع ص ٧٨ ، ١٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠

فغسلت في بعض الايام ، حين نصب خضاب الظلام ، وهتف ابو المنذر بالنوام لاخطو في خططها ، واقضي الوطر من توسطها ، فاداني الاختراق في مسالكها ، والانصلات في سككها ، الى محلة موسومة بالاحترام ، منسوبة الى بني حرام ، ذات مساجد مشهورة ، وحياض مورودة ، ومبان وثيقة ، ومغان أنيقة ، وخصائص أثيرة ، ومزايا كثيرة :

بها ماشئت من دين ودنيـا　　　وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثانـــي　　　ومفتون برنات المثانـــي
ومصطلع بتلخيص المعانـــي　　　ومطلع الى تخليص عانـــي ..." (١)

ومن انواع التكرار عند الحريرى انه يعالج الموضوع نفسه ، فمثلا نجده في اغلب مقاماته يشكو الفقر وتغير حاله . وعلى غراره ما جاء في المقامة الثالثة والثلاثين حيث يقول :

" أشكو الى الرحمن سبحانه　　　تقلب الدهر وعدوانـــه
وحادثات قرعت مروتـــي　　　وقوضت مجدى وبنيانـــه
واهتصرت عودى وياويل من　　　تهتصر الاحداث اغصانه
وأمحلت ربعي حتى جلت　　　من ربعى المحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا　　　أكابد الفقر واشجانـــه
من بعد ما كنت اخا ثروة　　　يسحب في النعمة اردانـــه
يختبط العافون اوراقـه　　　ويحمد السارون نيرانـــه
فاصبح اليوم كأن لم يكـن　　　اعانه الدهر الذى عانـه
وازور من كان له زائـرا　　　وعاف عافي العرف عرفانه .. (٢)

---

(١) سعد علي – المقامات الادبية – ص ٤٠٨
(٢) سعد علي – المرجع نفسه ص ٢٧٠ – راجع ايضا ١٨٨ و ٤٢٣ وغيرها من المقامات .

اما الموضوع الذى كرره الحريرى فهو التأكيد انه سروجي المولد ، او نراه يتغنى ببلدته سروج . فنراه يقول في المقامة الثامنة :

" انا السروجي وهذا ولدى   والشبل في المخبر مثل الاسد " (١)

وفي المقامة التاسعـــة :

"سروج دارى التي ولدت بها   والاصل غسان حين أنتسب " (٢)

وفي المقامة الرابعة عشرة :

" سروج دارى ولكـــن   كيف السبيل اليهـــا
وقد اناخ الاعادى   بها وأخنوا عليهـــا
فوالتي سرت أبغـــي   حط الذنوب لديهـــا
ما راق طرفي شـــيء   فوخبت عن طرفيهـــا " (٣)

وفي المقامة الثلاثين ينشـــد :

"مسقط الرأس ســـروج   وبها كنت أمـــوج
بلدة يوجد فيهـــا   كل شيء ويـــروج
وردها من سلسبيـــل   وصحاريها مـــروج " (٤)

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) - سعد علي المقامات الادبيـة -ص٦٠ و ٦٤ و ١٠٤ و ٢٣٨

وفي المقامة الاربعين :

"انا السروجي وهذى عرسي — وليس كفؤ البدر غير الشمس" (١)

وفي المقامة الرابعة والاربعين :

"سروج يا ناق فسيرى وجدى — ولولجي وأوبي واسئدى

حتى تطاخفاك مرعاها الندى — فتنعمي حينئذ وتسعدى" (٢)

وفي المقامة الثامنة والاربعين :

" انا من ساكني سـرو — ج ذوى الدين والهدى

كنت ذا ثروة بهـا — ومطاعا مسوّدا " (٣)

اما القوافي التي يستعملها الحريرى ، فتختلف بين كونها قواف مستساغة حينا مستحبة ، او هو يركب العسير الصعب فيها حينا آخر . ومن القوافي المستحسنة قوله :

" تبا لطالب دنيـا — ثنى اليها انصبابـه

ما يستفيق غرامـا — بها وفرط صبابـه

ولو درى لكفـاه — مما يروم صبابـه " (٤)

او قولـه :

"اعارني ابرة لأفو أط — مارا عفاها البلى وسودهـا " (٥)

---

(١) و (٢) و (٣) سعدعلي _ المقامات الادبية ص٣٢٧و ٣٧٣ ، ٤١٣

(٤) سعد علي _ المرجع نفسه ص١١

(٥) سعد علي _ المرجع نفسه ص٥٧

او ما ورد كانشاده :

"سل الزمان علي عضبــه ليروعني وأحد غربــه " (١)

او قولـــــه :

" ونديم محضته صدق ودى اذ توهمته صديقا حميما " (٢)

وقد استعمل الحريرى الشعر المسمط (اى المفصل ، مأخوذ من السمط ، وهو سلك الجوهر المفصل بالزمرد والذهب وغير ذلك) كقوله :

"يا من يدعي الفهـــم الى كم يا أخا الوهـــم
تعبي الذنب والــذم وتخطي الخطا الجـــم
اما بان لك العيـب اما انذرك الشيـــب
وما في نصحه ريب ولا سمعك قد صـــم
اما نادى بك الموت اما اسمعك الصـــوت
اما تخشى من الفـوت فتحتاط وتهـــتم
فكم تسدر في السهـو وتختال من الزهـــو
وتنصب تعمد الى اللهو كأن الموت ما عـــم " . (٣)

ومن قوافيه العسيرة النادرة التزامه الغين والالف رويا كقوله :

" عجبا لراج ان ينال ولاية حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدى ويلحم في المظالم والغا في وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى فيها أصلح دينه أم اوتغا " (٤)

---

(١) و (٢) سعد علي ـ المقامات الادبية ص ١٢٨ و ١٣٧
(٣) سعد علي المرجع نفسه ص ٧٨
(٤) سعد علي ـ المرجع نفسه ص ١٥٥

فالغين من الحروف الصعبة اذا استخدمت رويا ،وقد استعمل ايضا حرف الزاى والطاء ، والثاء ، والضاد . وقد ركب هذه القوافي العسيرة تحديا او مزاجا ، او تفكها ادبيا .

" يا أهل تبريز لكم حاكم   اوفى على الحكام تبريزا
طغى ما فيه من عيب سوى انه   يوم الندى قسمته ضيزى " (١)

او استعماله حرف الطاء للروى كقوله :

"سامح أخاك اذا خلط   منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه   ان زاغ يوما او قسط" (٢)

او قوله :

" انا الذى تعرفه يا حارث   حدث ملوك فكه منافث
اطرب ما لا تطرب المثالث   طورا أخو جد وطورا عابث" (٣)

او قوله :

"أشكو الى الله اشتكاء المريض   ريب الزمان المتعدى البغيض
يا قوم اني من اناس غنوا   دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض" (٤)

وقد لاحظنا ان الحريرى يكثر من استعمال حرف الهاء رويا (٥) ثم يتلوه حرف اللام . (٦)

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) سعد علي ـ المقامات الادبية ص٣٢٨ و ١٧٤ و ١٥٨ و ١٩٥

(٥) و (٦) سعد علي ـ المرجع نفسه ـ حرف الهاء : ص١١ و ١٣ و ٢٢ و ٢٩ و ٤٦ و ٥٧ و١١٢ و ١٢٨ و ١٥٣ و ١٦٥ و ١٧٢ و ١٨٩ و ١٩١ و ٢٠٥ و ٢٦٥ و ٢٧٠ و ٢٨٦ و ٣٠١ و ٣٤١ و ٣٧٧ و ٣٨١ و ٤٠٥ ـ حرف اللام ـ ٣٠ و ٤٩ و ١١٩ و ١١ و ٤٠٦ .

ومن عيوب القوافي عند الحريري استعماله سناد الاشباع ، أى اختلاف حركة الدخيل كقولـه :

" وانتم منتجع الرا جي ومرمى الطلب

لهاكم منهلــة ولا انهلال السحب (١)

او قولـــه :

" تحقرن ابيت اللعن ذا أدب لان بدا خلق السربال سبروتا

ولا تضع لاخي التأميل حرمته كان ذا لسن أم كان سكيتا " (٢)

وفي هذه الابيات ، تتضاءل الموسيقى الشعرية ، ويقل ويثقل الصوت في السامع ، غير ان الحريري لم يبالغ في استخدام مثل هذه القوافي .

اما الاوزان الشعرية التي يستعملها الحريري فتنقسم بين كونها اوزانا طويلة ، واوزانا قصيرة ، وقد لاحظنا ان الابيات الطويلة تدل على الجد ، اما ابياته القصيرة فتدل غالبا على روح العبث والمرح .

ومثال على الاوزان الطويلة قوله :

" ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد في انحائه ومقاصده " (٣)

او قولـــه :

" عجبا لراج ان ينال ولايــة حتى اذا ما نال بغيته بغـى " (٤)

او انشاده :

"من يشترى مني غلاما صنعـا في خلقه وخلقه قد برعا " (٥)

---

(١) و (٢) سعد علي ــ المقامات الادبية ص١٠١ و ٣١٠

(٣) و (٤) و (٥) سعد علي ــ المرجع نفسه ص٥٣ ــ ١٥٥ ــ ٢٧٥

ويستعمل الحريري الاوزان القصيرة والمجزوات في كثير من الاحيان كقولـــه :

" يا من غدا لي ساعدا　　　وساعدا دون البشر " (١)

او قولــــــه :

" لجوب البلاد مع المتربة　　　أحب اليّ من المرتبة " (٢)

او قولــــــه :

" انا أطروفة الزمـــا　　　ن وأعجوبة الامـــم " (٣)

او قولــــــه :

" ايها الاروع الـــذى　　　فاق مجدا او سوددا " . (٤)

ومفاداه ان الحريري اغرب كثيرا في احيان ، فأصبح الشعر لديه وسيلة لاظهار تفننه وطول باعه . ~~اضحى غاية الادب او كاد~~ وغلب اللفظ على المعنى ، والشكل على الجوهر . وهكذا نجد ان الشعر على الاجمال ، أصبح كالنثر يؤذن بعصر الانحطاط ، لان الاهتمـــام بالصيغ الكلامية بلغ اضحى غاية الادب او كاد .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) — سعد علي — المقامات الادبية ص ٣١ — ٤٧ — ٩١ — ٤١٣

٨ ـ المقامات المصـــورة :

من طريف ما يذكر ان مقامات الحريري صورت في العراق ، ومصورها هو يحيى بن محمود بن يحيى بن الحسن الواسطي . وذكر ابراهيم جمعة انه : " فرغ منها عام ٦٣٤ / ١٢٣٦ ويعتبر تصويره ارقى ما بلغه التصوير العراقي . فقد نجح الواسطي حقا في تكوين مدرسة تصويرية عربية ، تدل على ذلك صوره المحفوظة بالمكتبة الاهلية بباريس ويربو عددها على المائة " . (١)

ثم يزيد الكاتب على ذلك في مقاله أخرى له في الموضوع نفسه بقوله ان هذه النسخة كان يملكهـا العلامة شيفر ، ويعرف الواسطي بقوله :

"نشاء في واسط في القرن السابع هجري ، وفيها تعلم التصوير ، وعلى الرغم مما اعترى صوره من التلف والتشويه والمسخ فهي لا تزال وثيقة ذات بال من وثائق الفن العربي التصويري المبتكر " . (٢)

اما مدرسة واسط فهي من المدارس التصويرية التي اشتهرت في العراق في ذلك الحين . وكما ان لكل مدرسة فنية خطوطا بارزة ، نرى ان لواسط خطوطها الخاصة ومميزاتها ، فقد اورد جمعـــة ما نصه :

" اشتهرت واسط من بين مراكز التصوير العربي بطريقة خاصة هي استخدام القلم والمواد الاسود بدلا من الفرجون واللون . ولعل ذلك كان من الواسطيين غاية السبق في استعمال طريقة الصين الفنيـة في بلاد الشرق .. " (٣)

(١) جمعة ابراهيم ـ الكتاب ـ "مقامات الحريري وتصويرها في العراق " ٢ : ٢٦٧
(٢) جمعة ابراهيم ـ الثقافة ـ "يحيى بن محمود الواسطي مصور مقامات الحريري "ص١٧
(٣) جمعة ابراهيم ـ الكتاب ـ ص٢٦٧ الى ٢٦٩

ويرجح الكاتب سبب التأثير الصيني بواسط سبب وقوعها بين البصرة والكوفة ، ويعود ذلك الى "ان طريقة التخطيط الصينية الاصل كما تظهر في الملابس وألبسة الرأس صفات تحمل تصويره في جهة أقرب الى الشرق امر غالب الرجحان ، لان بعض المؤرخين يذهب الى انه صور في جهة من العراق قريبة من سواحل البحر الابيض المتوسط " . (١)

ونجد هنا ان الكاتب يرجح سبب التأثير الصيني سبب وقوع واسط بين البصرة والكوفة ، ولكن ذلك يجعلنا يحملنا على التساؤل : ما علاقة ذلك بالصين ؟ ثم يزيد الكاتب ان تلك الصور ربما صورت في جهة من العراق قريبة من ساحل البحر الابيض المتوسط . ولكن الغريب ان الكاتب لا يوضح فكرته ولا يفكر المكان بالذات ونجد ان الاستاذ ابراهيم جمعة بالغ في رأيه هذا فلربما تأثر الواسطيون بالطريقة الصينية بسبب التجارة الا انه لا دخل لواسط في كونها واقعة جغرافيا بين البصرة والكوفة ، على ما نرى .

وفي مقالة الكاتب الاخرى يضيف معلومات قيمة أهمها قوله :

" تشترك مدرسة واسط مع غيرها من مدارس التصوير العربية في العراق في اظهار الملامح السامية في سحن الاشخاص ، من سماحة الوجه واستطالته ، وسواد الشعر ، واستقامة الاعين ، وطول الانف ، واعتداله ، الى غير ذلك من المميزات التي يختص بها الذوق العربي ، من اطلاق اللحى ، الى كبر العمامة واتساع الملابس وزخرفتها بالفروع النباتية . وقعت المدرسة تحت تأثير البيزنطيين فاخذت عنهم "الهالة " التي تحيط برؤوس الاشخاص ذوي الاهمية الخاصة في الصورة كالامير او الخطيب او الواعظ . ويرجح ان يكون العرب قد نقلوا صورا بذاتها عن البيزنطيين اول الامر بطرق "التخريم" . وبسبب هذا التأثر نسب بعض مؤرخي الفنون صور الواسطي الى مصدر بيزنطي لما فيها من دقة " . (٢)

---

(١) جمعة ابراهيم — الكتاب ص ٢٦٧

(٢) جمعة ابراهيم — الثقافة — ص ١٩

ثم يضيف الكاتب الى ذلك قولـــه :

" تمتاز المدرسة بمقدرة خاصة على تصوير الحوانيت ومحتوياتها وبتحقيق الشخصية الفردية ، فكل وجه من الوجوه الادمية التي تظهر في صورها ، يمثل شخصا معينا ، ويضاف الى ذلك انها بدات تدخل رسوم المباني على ما كان مألوفا من مجرد تصوير الاشخاص ، وتلك محاولة فنية قدر لها ان تبلغ غايـة اتقانها في فارس على يد بهـزاد وقاسم علي " . (١)

اما اذا تفحصنا صور الواسطي فنجد انه يوجد فيها ملامح عديدة من المدرسة الواسطية كابراز نواحي الحياة الاجتماعية العربية في العصور الوسطى والمقدرة على تصوير الجموع .

وفي موضع اخر يقـــول :

" صور الواسطي بالغة الدلالة على مقدرة الجنس العربي على تصوير الحيوان كالجمل والحصان وتمثيل الجميع تمثيلا ينطبق على الحياة . ويتجلى في صور الواسطي ميل ظاهر الى حشو الصورة بالرؤوس ، ولكنه حشو متزن معقول لا يسع الناظر اليه الا ان يعجب بما يكاد ينبعث في الصورة من العجيج والضجيج نتيجة لهـذا الحشو والازدحام ، وهو عنى المعنى الذى قصد اليه المصور بلاشك " . (٢)

وقد اشتهـر الواسطي باظهار شخصية ابي زيد السروجي ووضعهـا في مكان مرموق . ثم يؤكد قائلا :

" تظهـر شخصية ابي زيد في صدر المقامات ، وهي متميزة عن اشخاص الصورة جميعا فهـو يبدو واعظا يعتلي المنبر ، او يعتلي صخرة ، او يواجه جمهوره وهو يظهـر متعاميا يقود غيره ، او متخفيا في زى امرأة عجوز ، او متغربا معدما يستجدى . وقد عرف لتخفيه بذى الطمرين يجوب بهما عند الاقتضاء ... وجعل المصورون ابا زيد قطب الرحى في الصورة فهـو يظهـر لنا حتى ولو كان متخفيا " . (٣)

(١) جمعة ابراهيم — الثقافة ص ٢٣

(٢) جمعة ابراهيم الثقافة ص ٢٣

(٣) جمعة ابراهيم — الكتاب ص ٢٧٠ و ٢٧١

ونحن اذا أنعمنا النظر في الصور التي أرفقت مع المقامة للكاتب ابراهيم جمعة ، نجد انها تعبر تعبيرا واضحا عن المقامات ، فهي تمثل نوادر بطل المقامات ابي زيد السروجي وتوضح اخباره ، وتظهر شخصيته متميزة عن باقي افراد الصورة . ثم نجد انها مليئة بحشو صور الاشخاص ، ويتبين لنا الضجيج ولكن ذلك لا يغض من قيمة الصورة الفنية بل يزيدها جمالا . ونحن لا نقدر ان نكوّن حكما كاملا على صور الواسطي اذ انحصر علمنا بها في الاطلاع على قسم من الصور المنشورة ، وما أتيح لنا مجال لمشاهدة الصور الاصلية .

رابعا - الحريرى بين الانصار والخصوم

قامت خلافات كثيرة بين أنصار الحريرى وخصومه بعضهم يدافع عنه ويرفع قدره ، و يهاجمه بعض آخر مهاجمة قاسية .

و من معاصرى الحريرى شخصيتان قذتان أحدهما ابن الخشاب (١) البغدادى الذى ذهب في الاعتراض على الحريرى كل مذهب فسجل خمسة وستين مأخذا على مقاماته .

---

(١) ابن الخشاب البغدادى - ١٠٩٨/٤٩٢ - ١١٧١/٥٦٧

أبو محمد عبد الله بن احمد - العالم المشهور بالادب والنحو والتفسير الحديث والنسب والفرائض والحساب وحفظ القرآن بالقراءات الكثيرة . وكان متضلعا في العلوم وله فيها اليد الطولى ،وكان خطه في نهاية الحسن . ذكره العماد الاصبهانى في الخريدة (١ : ٩٨) قال : " للوزير ابن هبيرة " كتاب المعتضد " ،شرحه ابن الخشاب في أربع مجلدات شرحا مستوفيا .

وقد عدّد العماد فضائل ابن الخشاب ومحاسنه ثم قال : وكان قليل الشعر

ومن شعره في الشمعة :

صفراء من غير سقام بها   كيف وكانت امها الشافية

عارية وبطنها مكتس   فأعجب لها عارية كاسية

وله شرح كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني وسماه " المرتجل في شرح الجمل " ،وترك أبوابا من وسط الكتاب لم يتكلم عليها . وله ايضا شرح اللمع لابن جني وهو غير كامل . وكانت فيه بذاءة وقلة اكتراث بالمأكل والطبس . وكانت ولادته سنة ١٠٩٨/٤٩٢ وقيل غير ذلك . وتوفى عشية الجمعة ثالث رمضان سنة ١١٧١/٥٦٧ ببغداد ،بباب الأزج ،بدار أبي القاسم الفراء ،ودفن بمقبرة احمد بباب حرب

(البستاني بطرس - دائرة المعارف ١ : ٤٥٩)

فانبرى لغوى آخر وصد الهجوم عن الحريرى وانتصر له ، وهو ابن برى (١) المقدسي المصرى .

---

(١) ابن برى- ابومحمد عبدالله بن برى المقدسي المصرى - ٤٩٩/١١٠٦ - ٥٨٢/١١٨٧ .

نحوى ولغوى . ولد في دمشق في الخامس من رجب عام ٤٩٩/١١٠٦ وتوفي بالقاهرة في ليلة السبت ٢٧ شوال عام ٥٨٢/١١٨٧ . نال شهرة بالغة وكان ثقة في اللغة ، وكثيرا ما استقى منه صاحب "لسان العرب" ويذهب البعض الى حد تسميته "امير النحاة" . ويذكر بين شيوخه : النحوى ابوبكر محمد بن عبدالملك الشنتريني ، ابو طالب عبدالجبار ابن محمد بن علي المعافرى القرطبي ، وابو صادق المديني . وكان أفضل تلاميذه : ابوعيسى بن عبدالعزيز الجزولي .

وصنف ابن برى الكتب الاتية :

أ - كتاب "التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح" ، وهو تصحيحات وزيادات على قاموس الجوهرى . ويقال ان الوفاة ادركته عند كلمة "وقش" ، وان ابا عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن البصرى هو الذى أتمه .

((de l'Escurial. Mss. ar. Durenbourg رقم حدة))

ب - "حواشي على المعرب" وهو نقد وزيادات على معجم الجواليقي للكلمات الاعجمية .

ج - كتاب "غلط الضعفاء من الفقهاء" وهو مجموعة من اخطاء الفقهاء في استعمال الالفاظ .

د - "الذب عن الحريرى" وهو رسالة صغيرة يدفع فيها النقد المر الذى وجهه ابن الخشاب لمقامات الحريرى (القسطنطينية ١٣٢٠/١٩٠٢)

(محمد بن شنب - دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٦)

المراجع : ابن خلكان - وفيات الاعيان ١ : ٢٦٨ - السيوطي - بغية الوعاة ٢٧٨

السبكي - طبقات الشافعية ٤ : ٢٣٣ - العماد - الخريدة ١ : ٧٥ - تاج العروس ٣ : ٣٧ و ٣٨

وقد استطلعنا هذا الجدال في كتاب سعد علي (١): " المقامات الادبية " . ويبدأ ابن بري اعتراضه بقوله :

" وبعد ، فهذه حروف وقعت في المقامات التي انشأها ابو محمد بن القاسم بن علي الحريرى البصرى ، ينكرها العالمون بالعربية ، بما تنطق به مصنفاتهم ، وتتفق عليه مؤلفاتهم ، نبه عليها الشيخ الامام ابومحمد عبدالله بن احمد بن احمد المعروف بابن الخشاب البغدادى رحمة الله عليه ، حين قرئت عليه المقامات ، ولعلها أخذت عنه اكثر من آخذها عن جامعها . وقد كان ابن الحريرى عفا الله عنه مكبا عليها ، صارفا مدة مهلة فيها ، وهو ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ، ويستشفها في كل لحظة ، فهي بنت عمره ، وبكر دهره ، ولقد خطئ اكثرها من مواضع ، يدل تهديه اليها عن فضل بارع ، ولم يكن رحمه الله مدفوعا عن فطنة ثاقبة ، وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة . ومن العجيب انه قدم بغداد سنة اربع وخمسمائة ، وأخذ المقامات عنه البغداديون ، وكان بها اذ ذاك بقية من الموسومين بعلم الادب ، والطالبين لكلام العرب ، فلم يتعلقوا عليه فيها عند سماعها منه الا بلفظة واحدة ، نازعوه فيها ، وخرجوا معه على السواء ، لانها وقعت في كتاب اللغة على خلاف فيها وهي : "النهار " فرخ الحبارى ، و"الليل" فرخ الكروان ، هذا هو المشهور ، ويقع في بعض كتب اللغة بخلافه كما ترى . قال ابن دريد في الجمهرة : (والليل ايضا : فرخ الحبارى) وله اشياء في اثناء مقاماته لو روجع لاقر مع الانصاف بالخطاء فسلم ساكتا ، او لنازع مباهتا . وانا اسوقها ان شاءالله على التوالي موضحا فموضحا ، مع تمهيد عذره ، لقلتها في جنب صوابه ، وما مر من المحاسن اثناء كتابه ، وعلمي بأن الكامل من عدت سقطاته ، والفاضل من احصيت هفواته ، وأنبه على ذلك على مواضع اخذ منها ، واستعان وأنحى عليها وغصبها ، وبالله أستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل . " (٢)

---

(١) سعد علي - المقامات الادبية - الاعتراض على الحريرى في مقاماته لابن الخشاب والانتصار له لابن برى.
(٢) سعد علي - الاعتراض على الحريرى في مقاماته ص ٣

في الخطبـــــــــة

قال في اول كتابه في الخطبة : "ونعوذ بك من شرة اللسن ، وفضول الهذر ، كما نعوذ بك من معرة اللكن ، وفضوح الحصر" . قال الامام ابن الخشاب : هذا الكلام بعينه في كتاب البيان والتبيين لابي عثمان عمرو بن بحربن محبوب الكناني المعرف بالجاحظ ، ويقال الحدقي ، وهذا الكتاب اشرف مصنفاته واغزرها فائدة على كثرتها وتفننها ، مع كبر حجم ، وكثرة علم ، وان كان كتابه في الحيوان اضخم منه وأكبر حجما ، ولكن هذا اغزر عند طالب البلاغة علما ، ولا حرج على ابن الحريرى فانه اغار على بلديه ، ولم يحل حبوته في غير نديه ، اقتداء بقوله :

وأحيانا على بكر أخينا　　　　اذا ما لم نجد الا أخانا

بصرى صالت بصريا ، كما قال عذافر :

"بصرية تزوجت بصريا　　　　يطعمها المالح والطريا" (١)

وهذا نموذج لمأخذ اخذه ابن الخشاب على الحريرى ، والذى نلاحظه ان ابن الخشاب ، دأب جهده في المهاجمة ، وابن برى وقف له بالمرصاد ، ورد سهام الاعتراض عن الحريرى .

وقد أخذ ابن الخشاب على ابن الحريرى مأخذين آخرين في مقدمته التي اوردها للمقامات ، وهما قول الحريرى :

---

(١) سعد علي — المقامات الادبية — الاعتراض على الحريرى ص ٤

"فقلت وانت اصدق القائلين : وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " ، وكانت هذه العبارة موجودة في النسخة الاولى للمقامات على النحو التالي : "فقلت وانت اصدق القائلين : انه لقول رسول كريم ، ذى القوة عند ذى العرش مكين " . (١)

والمأخذ الثاني ما ذكر الحريرى : "على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي ، ونضح عني المحب المحابي ، لا اكاد اخلص من غمر جاهل ، او ذى غمر متجاهل ، يضع مني لهذا الوضع ، ويندد بانه من مناهي الشرع ، ومن نقد الاشياء بعين المعقول ، وانعم النظر في مباني الاصول ، نظم هذه المقامات ، في سلك الافادات ، وسلكها مسلك الموضوعات ، عن العجماوات والجمادات ، ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات ، أو أثم روايتها في وقت من الاوقات " . (٢)

وفي المقامة الاولى ، أخذ ابن الخشاب خمسة مآخذ على الحريرى وهي :

١ـ "خاوى الوفاض ، بادى الانفاض" (٣)

٢ـ "احاطة الهالة بالقمر ، والاكمام بالثمر" (٤)

٣ـ "فانصرفت من حيث أتيت ، وقضيت العجب مما رأيت" (٥)

٤ـ "لكي يجهل مربعه" (٦)

٥ـ ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصة (٧)

"قال ابن الخشاب : هو يحتال ويسأل ، ويخرج في صدر النزالة في مسألة وغيرهما ، فحاله لا يطابق النزاهة التي ادعاها في البيت ، وذلك ايضا ظاهر .

---

(١) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٤

(٢) سعد علي ـ المقامات الادبية ـ ص ٧

(٣) المرجع نفسه ص ٨

(٤) المرجع نفسه ص ٩

(٥) المرجع نفسه ص ١٣

(٦) المرجع نفسه ص ١٢

(٧) المرجع نفسه ص ١٣

قال ابن برى رحمه الله : الذى قاله ابن الحريرى صحيح ، وليس المعنى فيه ما ظنه ابن الخشاب ، وانما اراد ان الدهر ألجأه الى السؤال والاحتيال ولم يكن من اهل ذلك فيما تقدم ، الا تراه يقول قبل البيت :

وألجأني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه

على انني لم أحب صرفه ... ولا نبضت لي منه فريصه

ولا شرعت بي على مورد ... البيت . اى لم يكن ممن يهاب صرف الدهر فيما مضى من عمره ، ولا ممن شرعت به نفسه على مورد يدنس عرضه ، فاثبت لنفسه النزاهة قبل ان الجأه الدهر الى السؤال ، والتقدير : لم اكن ممن هاب صرف الدهر ، ولا ممن نبضت فريصته ، ولا ممن شرعت به نفسه على مورد اهانة ، واذا ثبت له المعنى على هذا ، بطل ما ذهب اليه ابن الخشاب من كونه جمع بين النزاهة والاحتيال في صورة النذالة من مسألة وغيرها " . (١)

ولابن الخشاب مأخذ واحد في المقامة الثانية (٢) وهو :

" ألفيت بها ابا زيد السروجي يتقلب في قواليب الانتساب ، ويخبط في اساليب الاكتساب " . (٣)

وفي المقامة الرابعة له ثلاثة مآخذ وهي : (٤)

---

(١) سعد علي ــ الاعتراض على مقامات الحريرى ص ١١ و ١٢

(٢) سعد علي ــ المقامات الادبية ص ١٤

(٣) و (٤) المرجع نفسه ص ٢١

١ — ترقبة رقبة أهلة الاعياد ،، وتستطلعه بالطلائع والرواد " (١)

٢ — "ولاحت الشمس في الاطمار " (٢)

٣ — قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة ، وتمادينا في الرحلة " (٣)

ويكمل ابن الخشاب انتقاداته للمقامة الخامسة ، والسادسة ، والسابعة ،والعاشرة ، والخامسة عشرة ،والسادسة عشرة ، والسابعة عشرة ، والحادية والعشرين ، والثالثة والعشرين ، والسادسة والعشرين ، والسابعة والعشرين ، والتاسعة والعشرين ، والثانية والثلاثين ، والثالثة والثلاثين ، والخامسة والثلاثين ، والسادسة والثلاثين ، والسابعة والثلاثين ، والثامنة والثلاثين ، والتاسعة والثلاثين ، والاربعين ، والثالثة والاربعين ،والرابعة والاربعين ، والسادسة والاربعين ، والسابعة والاربعين ، والثامنة والاربعين ، وينبرى ابن برى للاعتراض الذى قدمه ابن الخشاب .

ومن الملاحظ ان ابن برى وفق في رده على ابن الخشاب ، وذلك انه عدد المآخذ الخشابية وفندها ~~تفنيدا~~ تفنيدا بديعا . ولم نذكر غير امثلة قليلة على الاعتراض والرد ، تبيانا لطبيعة هذه المشادة ، ولم نرد ان نتوسع في الموضوع . وان المهتمين بنقدها والدفاع عنها هم ارباب اللغة بجاهلة .

---

(١) و (٢) و (٣) سعد علي — المقامات الادبية ص ٣١

خامساً - شراح المقامات

كثر هم العلماء الذين شرحوا مقامات الحريرى، ويربي عددهم على الثلاثين . فمنهم من أطال ومنهم من أوجز ، وبينهم علماء عرب وبينهم علماء اوروبيون ، ولكن لم نستطع الاطلاع على الشروح كلها لعدم توفرها في مكاتبنا ويجمل بنا ان نرتب شرح المقامات حسب وفاة شراحها الذين عرفنا مواقيت وفاتهم ، لان البعض منهم ظل مغمورا ، وقد اعتمدنا الواسطي في تعداد الشراح وترتيبهم وفقا لترتيب تاريخي .

فمن العلماء العرب الذين عزيت اليهم شروحها :

١ - محمد بن علي ابوعبدالله المعروف بابن حميد الحلبي ، توفي عام ٥٠٠/١١١١ ، وسمى شرحه "التنقيب على ما في المقامات من الغريب" . (١)

٢ - ابن ظفر بن محمد المكي . توفي عام ٥٦٥/١١٦٩ . (٢)

٣ - القاسم بن الحسين بن احمد ابومحمد الخوارزمي (٣) ولد عام ٥٥٥/ ١١٦٠ .

---

(١) الواسطي كمال الدين - شرح المقامات الحريرية : المقدمة

(٢) المرجع نفسه

(٣) الخوارزمي - عاش في النصف الثاني من القرن الرابع / العاشر . وهو اقدم كاتب مسلم ألف كتابا موسوعيا هو "مفاتيح العلوم" ، اهداه الى أبي الحسن عبيد الله بن ابي العتبي الذى كان وزيرا من وزراء نوح الثاني الساماني (٣٦٦ - ٣٨٧ - ٩٧٦ - ٩٩٧) . وكان ابوعبدالله يعيش في بلاطه في نيسابور ، ولعل الخوارزمي ولد في بلخ ، ويستدل من كلامه انه كان يلي منصبا اداريا ، وكان بحكم مقامه في خراسان خبيرا بالاحوال السائدة في المشرق خاصة . عنيت بتصحيح كتابه ونشره للمرة الاولى المطبعة المطبعة المنبرية عام ١٣٤٢/١٩٢٣ (الخوانسارى : روضات الجنات ص ٥٠٤) نقل في حقه عن صاحب الطبقات الادباء ان كان أوحد الدهر في علم العربية . وله ايضا شرح على سقط الزند وعلى الانموذج ، وشروح ثلاثة على المفصل ، وكتاب السر في علم الاعراب ، وشرح الابنية ، وكتاب الزوايا والخبايا في النحو . (Wiedmant E) ترجمة خورشيد : دائرة المعارف الاسلامية ١٢٤٩)

د ـ شراح المقامـــــــــات

٤ - ابو مظفر محمد بن اسعد المعروف بابن حكيم ، توفي عـــــام ٥٦٧ / ١١٧١ . (١)

٥ - ابوبكر محمد بن عبدالله القرطبي ، توفي عام ٥٦٧ / ١١٧١ . (٢)

٦ - ابوعبدالله محمد بن عبدالرحمن المسعودى ، في مجلدين توفي عام ٥٨٤/ ١١٨٨ . (٣)

٧ - ابوالخير ، الاديب سلامة بن عبدالباقي النحوى الضرير ، المتوفي عام ٥٩٠/ ١١٩٣ ، وهو شرح مختصر ممزوج . (٤)

٨ - محمد بن علي الجاوداني ، شرحه وقرأه على مؤلفه الحريرى . توفي بمصر عام ٥٩١/ ١١٩٤ . (٥)

٩ - احمد بن داود ، توفي عام ٥٩٨/ ١٢٠١ . (٦)

١٠ - علي بن الحسن النحوى ، توفي عام ٦٠/ ١٢٠٣ .

القرطبي النحوى - من كتاب المغرب ، شرح كتاب الجمل والمقامات . (٧)

---

(١) الواسطي - شرح المقامات الحريرية - المقدمة
(٢) المرجع نفسه
(٣) و (٤) الواسطي - المقدمة
(٥) الواسطي - المقدمة والخوانسارى ص ٥٠٤
(٦) الواسطي - المقدمة
(٧) الواسطي - المقدمة والخوانسارى ص ٥٠٥

١١ - ابوطالب عقيل بن عطية القضاعي المراكشي ، توفي عام ٦٠٨/ ١٢١١ - وضع شرحا على مقامات الحريرى. هو مراكشي المولد طرطوشي الدار ، وكان تلميذا لابن بشكوال وتولى قضاء غرناطة وكان شاعرا مجيدا احتفظ لنا ابن الخطيب في "الاحاطة" بأطراف من شعره ، وقـد اشتهر بمعارضته لابن عبد البر . (١)

١٢ - ابوالبقا عبدالله بن حسين العكبرى النحوى من بغداد . توفي عام ٦١٠/ ١٢١٣ ، وترك مختصر مشتمل على شرح القريب . (٢)

١٣ - الامام ابوالفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزى النحوى ، سمى شرحه "الافصاح" . توفي عام ٦١٠/ ١٢١٣ . اما اهمية شرحه فتنحصر في دراسة جمال كتابة الحريرى البلاغية ويحصر تعليماته كليا على المحاورات المتعلقة في التراكيب النحوية الغريبة التي تحصل في المقامات . (٣)

١٤ - الشيخ ابوالعباس ابن عبدالمؤمن القيسي الشريشي (٤) المتوفي عام ٦١٨/ ١٢٢٢

---

(١) بالنثيا غونزاليس - تاريخ الفكر الاندلسي (ترجمة مؤنس) ص ٥٠٥
(٢) و (٣) الواسطي - شرح المقامات : المقدمة وبرستون - مقامات الحريرى ص ١٥
(٤) الواسطي - المقدمة - الخوانسارى : روضات الجنات ص ٥٠٤
برستون - مقامات - ص ١٤

الشريشي : كان رجلا واسع العلم يعد من بين شيوخه الكثيرين ابا عبدالله بن زرقون القاضي ، وابا منصور بن جبير ، وكان بارعا في علوم اللغة والعروض ... وذكر ابن الابار المعروف انه لقي الشريشي في بلنسية وقرأ عليه جزءا من شرحه على المقامات وأجاز له الشريشي رواية بقيتها : " وقد قيل ان له ثلاثة شروح (المقامات الحريرية) ولم يترك في كتابه من شروحه فائدة الا استخرجها ، ولا فريدة الا استدرجها ، فصار شرحا يغني عن كل شرح تقدمه ولا يحتاج الى سواه ، وقد اخذ مـن شرح الفنجديهي شيئا كثيرا كما ذكره فيه . " ومما يدلنا على أهمية شرح الشريشي ان الناشريـن المحدثين يجعلونه على هوامش طبعاتهم للمقامات . وقد ذكر سلفستر دى ساسي انه استعمل في شرحه لمقامات الحريرى كثيرا من الشعر الذى اورده الشريشي في شروحه للمقامات ، وتأكد لدان الشريشي كان حريصا على الدقة فيما اورده من نصوص وانه استعمل شروحا أخرى ضاعت اليوم . هذا ، والشريشي لا يكتفي بما يضع على المقامات من الشروح الادبية بل يضيف من علمه الواسع طائفة عظيمة من الموضوعات ذات الاهمية البالغة .
((مؤنس حسين - غونزاليس بالنثيا - ترجمة تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨١))

١٥ – خيرالدين بن تاج الدين الياس المدني – ألف في شهر رمضان عام ٦٢٠ / ١٢٢٣ وسماه المقالات الجوهرية على المقامات الحريرية . (١)

١٦ – صفي الدين بن عبدالكريم البغدادى توفي عام ٦٢٩/ ١٢٣١ (٢)

١٧ – تاج الدين نعمان بن ابراهيم الزرنجي وسماه الموضح ، توفي عام ٦٤٠/ ١٢٤٢ (٣)

١٨ – الشيخ محمد شمس الدين المغربي الطبيب ، ذكر فيه انه وقف على نسخة مقامات الحريرى واتمه عام ٦٩١/ ١٢٩١ (٤)

١٩ – التيماني الزبيدى الشبرجي توفي عام ٨٠٢/ ١٣٩٩ (٥)

وهناك شروح حديثة للمقامات راجعنا منها شرح المقامات الحريرية لسعد علي (طبعة بيروت عام ١٩٥٠) وشرح محمد التونسي ، طبعة بولاق ، القاهرة عام ١٨٤٩ . ~~وسنأتي على تفصيل هذى الشروح في حينه~~ .

---

(١) حاجي خليفة "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" ٦ : ٥٥٧

(٢) و (٣) و (٤) الواسطي – شرح المقامات الحريرية – المقدمة

(٥) الخوانسارى – "روضات الجنات" ص ٥٠٥

ويلوح ان مقامات الحريرى صادفت رواجا عظيما ، حتى في حياة المؤلف . وقد ذكر الحريرى انه وقع بيده سبعمائة نسخة . (١) ويذكر بلاشير ان هناك مخطوطة ترجع الى عام ٥١٣/١١١٦ ، وهي محفوظة في استنبول . (٢)

وقد عرفت المقامات في الغرب وكثر انتشارها ، ونكتفي بالاشارة ههنا الى الطبعات العديدة حسب تاريخ نشرها :

أ - قام Schultens الهولندى بنشرها عام ١٧٣١ م ، وقد طبع قسطا منها . (٣)

ب - Rön Muller - اوائل القرن الثامن عشر - ترجمها الى اللاتينية (٤)

ج - طبعت في الهند في كلكتا عام ١٨١٤ م Alu Jaum & Daud Mouluwee Ullah "The Adventures Of Abu Z eyd Of Serouj" In 50 stories collected with 8 arabic copies (S.B, IG 45 - 55 11 , 606 - 611

د Caussin de Perceval باريس ١٨١٩ م ، (٥) بالافرنسية

هـ - Sylvestre de Sa cy باريس ١٨٢٢ م ، مع تعليق بالعربية (٦)

---

(١) ياقوت - ارشاد الاريب لمعرفة الاديب - ١٥ : ٢٦٧

(٢) بلا شير " al-Hamadhani " ص ٤٧

(٣) البستاني بطرس - دائرة المعارف ص ١٧

بلاشير " al-Hamadhani " ص ٤٧

(٤) بلاشير " al-Hamadhani " ص ٤٧

(٥) البستاني بطرس - دائرة المعارف ص ١٧

(٦) البستاني وبلاشير : المراجع نفسها

ثاتشرج : الحريرى - الموسوعة البريطانية ١٢ : ٩٥٣

و — Ruckert بالمانية عام ١٨٢٦ ميلادية في Frankfurt - S Maine (١)

ز — Peyper عام ١٨٣٦م ، باللاتينية طبع ليبزغ (٢)

ح — Preston T. عام ١٨٥٠م ، في لندن — تتضمن ترجمة عشرين مقامة في الانجليزية . (٣)

ط — Durenbourg J. et Reynold — باريس ١٨٥٣م ، مع تعليق بالافرنسية (٤)

ى Steingass et Chenery عام ١٨٦٧ ، و ١٨٩٨ بلندن ، بالانجليزية (٥)

ك — Raux باريس عام ١٩٠٩م ، نشر قسما منها بالافرنسية (٦)

ل — ترجمة مقامات حريرى ناقص حاوى على خمس وعشر مقامات — لمترجم مرحوم نحيفي مصطفى افندى تأليف بنام داود ابراهيم باشا الوزير (٧)

يتبين من عرضنا الوجيز لشراح مقامات الحريرى ، ان اهم الشروح الحريرية قد وضعت حوالي مئة سنة بعد وفاة المؤلف في النصف الاول في القرن الثالث عشر ميلادى . ويبدو ان أهم الشروح المتداولة الان هما شرحا الشريشي ودهساسي .

---

(١) بلاشير " al-Hamadhani " ص٤٧ والبستاني بطرس — دائرة المعارف ص١٧

(٢) البستاني بطرس — دائرة المعارف ص١٧

(٣) البستاني بطرس — دائرة المعارف وتاتشرج — الموسوعة البريطانية ١٢ : ٩٥٣

(٤) تاتشرج — الحريرى — الموسوعة البريطانية ١٢ : ٩٥٣

(٥) تاتشرج — الحريرى — الموسوعة البريطانية ١٢ : ٩٥٣ وبلاشير " al-Hamadhani " ص٤٧

(٦) بلاشير al-Hamadhani ص٤٧

(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون — ٦ : ٥٥٧ س٧

هـ ـ استمرار فـن المقامـــــــــــــة

سادسا - استمرار فن المقامة

انتشرت مقامات الحريري انتشارا واسع المدى ، فقلدها الكثيرون من غير العرب الذين كانوا يعيشون في الأقطار الاسلامية ، وصاغوا مقاماتهم على منوال مقامات الحريري . فان كتابا من أهل فارس والعراق والحجاز والشام ومصر والمغرب قد تأثروا بفن المقامة وتركوا آثارا قيمة في هذا الموضوع .

ونقيم فيما يلي جدولا بكتاب المقامات ، وقد نظمنا اسماءهم تبعا للترتيب التاريخي :

٥٣٢/١١٣٧ - الزمخشري - أبو القاسم محمود بن عمر ، ولد في زمخشر (خوارزم سنة ٤٦٧/١٠٧٤ . كتب خمسين مقامة قصيرة وجعل مقاماته مواعظ أخلاقية . وطبعت في القاهرة ١٣١٣/١٨٩٥ و ١٣٢٥/١٩٠٧ ، وترجمها الي الألمانية Rescher ، ومنهم من يقول انه توفى في جرجان عام ٥٣٨/١١٤٣ (١)

---

(١) سلطان محمد جميل - " فن القصة والمقامة " - ص٤٧

الصديقي - " ابن الحريري ومقاماته " - ص١٠٣

٥٣٨/١١٤٣ - الاشتركوي (١) " التزم طريقة الحريري التزاما وثيقا منتبها الي العدد الخمسين (٢)

٥٧٥/١١٧٩ - ابن القصيد أبو جعفر عبد الرحمن بن محمد الاسدى أنشأ " مقامات فيما كتب من رسائل أدبية وخطب و مواعظ (٣)

---

(١) الاشتركوي - نسبة الي اشتركون (Estercual) أبو الطاهر محمد بن يوسف عبد الله السرقسطي الوزير الاندلسي . كتب " المقامات السرقسطية" في قرطبة و طبعت في استانبول . وله مقامات محفوظة في مكتبة برلين راجع بروكلمن ٤ الموسوعة الاسلامية ٣ : ١٧١ (٢) - غونزالس بالنثيا - تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨١ - (٣) " مقامة " Blachère - (٤) سلطان ص ٤٧ - (٥) - الصديقي ص ١٠٣

(٢) سلطان - " فن القصة و المقامة " ص ٤٧

٥٨٩/١١٩٣ - " أبو العباس يحي بن سعيد بن ماري البصري " ألف " المقامات المسيحية " وحرص أن يكون لها بطل واحد وراوية واحد، و شحن مقاماته بموضوعات علمية " (١)

٥٩٧/١٢٠٠ ابن الجوزي (٢) ينسج على منوال الحريري ، الصوغ والآداء ، انشاء " المقامات الجوزية في المعاني الوعظية " وقد شرحها بنفسه شرحا وافيا ،و توجد نسخ منها في لندن وكمبردج (٣) .

---

(١) الصديقي و مقاماته ابن الحريري -ص١٠٣ ، سلطان ، فن القصة والمقامة ص٤٧ ،بروكلمن ، الموسوعة ١ : ١٧٠

(٢) ابن الجوزي : هو عبد الرحمن بن علي بن أحمد أبو الفرج (ابن الفضائل) جمال الدين . مؤلف عربي وفقيه حنبلي ،وواعظ وكاتب في التاريخ العام ، ولد عام ٥١٠/١١١٦ في بغداد وتوفي فيها عام ٥٩٧/١٢٠٠ . من أهم مؤلفاته كتابه التاريخي " المنتظم وملتقط الملتزم " وهناك عدة مخطوطات عنه .

(راجع بروكلمن - الموسوعة ١ : ١٢٥)

(٣) بروكلمن - الموسوعة ٣ : ١٧٢ ،سلطان فن القصة والمقامة ، ص ٤٨ ،الصديقي ابن الحريري و مقاماته ص ١٠٣

١٢٧٣/٦٧٢ - ابن الصيقل شمس الدين ابن سعد الله (أنشأ خمسين مقامة على الطريقة الحريرية أسماها " المقامات الزينية " وأهداها الي أسرة الجويني . وفي استانبول نسخ منها) (١)

١٢٨٩/٦٨٨ - التلمساني محمد بن عفيف الدين المعروف بالشاب الظريف . (أنشأ " مقامة العشاق " والمقامة الشيرازية " وفصاحة المسبوق في ملاحة المعشوق") (٢) وتوفي في القاهرة سنة ١٢٦٢/٦٦١ .

الرازى " أبو العلاة احمد بن أبي بكر بن أحمد صنع ثلاثين مقامة في أواخر القرن السادس الهجرى واهداها الي القاضي السهرورزى . ولغته كانت أسهل من الحريرى وكان يكثر من الوصف الفني واستعمل ألفاظا بذيئة " (٣)

وطبعت مقاماته في استانبول وصرح في مقدمتها انه ينتهج فيها نهج الهمذاني والحريرى . فألف مقامات لا غرض بها سوى الوصف شأن الهمذاني . وبالغ في الالاعيب اللغوية والبهلوانية الانسانية الي حد السماجة والاغراب . (٤)

---

(١) بروكلمن - الموسوعة - ٣ : ١٧٢ ؛ سلطان ؛ فن القصة والمقامة ص ٤٨ ؛ الصديقي ابن الحريرى ومقاماته ص ١٠٣

(٢) الكك فكتور - بديعات الزمان ص ١٢٣

(٣) سلطان ؛ فن القصة والمقامة - صفحة ٤٨ ؛ والصديقي ابن الحريرى ومقاماته ص ١٠٣

(٤) الكك فكتور - بديعات الزمان صفحة ١٢٣

١٣٢٩/٧٣٠ - الرازى بن المغرم ، صنع اثنتي عشرة مقامـــة والراوى هو زنباع بن قعقاع ، طبعت في تونس عام ١٣٠٣/١٨٨٥ بعناية سليمـــان الحريـــرى . (١)

---

(١) الكك فكتـور - بديعـــات الزمـان .

١١٢٨/١٧١٥ ـ أبو بكر بن محمد العلوى باعبود (أتم خمسين مقامة جرت أحداثها في الهند لبطل اسمه أبو مظفر الهندى السياح ، وراويها النصير بن فتاح ، طبعة العلوم باسم المقامات الهندية) (١)

---

(١) الكلمه نكتور ـ بديات الزبان ص ١٢٦

١١٨٤/١٧٧٠ _ الادكاوى عبد الله بن عبد الله ؛ ولد في ادكو قرب مدينة الرشيد في مصر سنة ١١٠٤/١٦٩٢ . أنشأ المقامة الاسكندرية والتصحيفية وجعل فيها كل كلمتين متزاوجتين بحيث لا تختلفان الا من حيث التنقيط .

١٢٢٦/١٨١١ _ عبد اللطيف البربير الحسني البيروتي ؛ ولد في دمياط سنة ١١٦٠/١٧٤٧ ؛ وتوفى في دمشق سنة ١٢٢٦/١٨١١ . (١)

١٢٧٠/١٨٥٣ _ الالوسي أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسني البغدادى ولد سنة ١٢١٨/١٨٠٣ _ أنشأ مقامة عام ١٢٣٨/١٨٢٢ ؛ ونشرت في بغداد عام ١٢٧٠/١٨٥٣ لكنها لا تبلغ مقامات اليازجي في الخيال والصنعة والاتقان (٢)

---

(١) الكك فكتور _ بديعات الزمان ص ١٢٨

(٢) سلطان _ فن القصة والمقامة ص ٥٢

بروكلمن _ الموسوعة الاسلامية ٣ : ١٧٣ .

١٨٩٧/١٣١٥ - اليازجي ناصيف - كتب مجمع البحرين [1] وهو عبارة عن ستين مقامة ، ألفها بين عام ١٨٥٠/١٨٥٥ م.

---

(١) في مجمع البحرين ، الراوية هو سهيل بن عباد ، والبطل هو ميمون بن خزام والموضوع مقابلة بينهما في البدو أو في الحضر . طبعت مقاماته ببيروت عام ١٨٥٦م ثم طبعها ابراهيم اليازجي عام ١٨٧٢م وطبعت عام ١٨٨٢م و ١٩٢٤م .

راجع : -

كراتشكوفسكي - الموسوعة الاسلامية ٤ : ١٢٣٤

سلطان - فن القصة والمقامة ص ٥٢

الصديقي - ابن الحريرى ومقاماته ص ١٠٣

الجزائـــرى محمود بن محمد المبارك ، ولد في الجزائر وتوفي في دمشق ، النصف الثاني من القرن التاسع عشر . (١)

الهمش منصور الماروني اللبناني ، النصف الثاني من القرن التاسع عشر . (٢)

١٣٠٥/١٨٨٧ - الشدياق احمد فارس - ولد في عشقوت لبنان سنة ١٢١٦/ ١٨٠١ ، وتوفي سنة ١٨٨٧م (٣)

الفكرى عبدالله باشا بن محمود احمد . ولد في مكة سنة ١٢٥٠/ ١٨٣٤ وتوفي فـــي القاهرة ، نشر المقامة الفكرية في المملكة الباطنية - القاهرة سنة ١٢٩٨/ ١٨٨٠ (٤)

١٣٠٨/ ١٨٩٠ الاحدب ابراهيم الطرابلسي الحلبي ، ولد في طرابلس سنة ١٢٤٢/١٨٢٦ وتوفي في بيروت ١٣٠٨/ ١٨٩٠ . (٥)

رشيد افندى محمود - الاسكندرية ، القرن العشرون ، نشرت مقاماتـه في القاهـــرة سنة ١٩١٣م . (٦)

---

(١) الك فكتور ، بديعات الزمان ص١٢٩

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه

(٤) بروكلمن - الموسوعة ٣ : ١٧٢ وسلطان - فن القصة والمقامة - ص٥٢

(٥) الك فكتور ، بديعات الزمان ص١٢٩

(٦) المرجع نفسه

١٣٤٩/ ١٩٣٠ — محمد المويلحي — (١) أصدر قصة عيسى ابن هشام عـــــام ١٣٢٥/١٩٠٧ .

---

(١) محمد المويلحي — ولد عام ١٢٨٥/ ١٨٦٨ في القاهرة حيث درس في جامعة الازهر ، ويمثل خير تمثيل اهل عصره المنقسمين بين المحافظة على التقاليد القديمة والرغبة الاقتباس عن المدينة الاوربية . وقد اشترك في ثورة عرابي باشا عام ١٨٧٩ — ١٨٨١ م ورحل الى نابولي ثم باريس واستقر في استنبول ، ورجع الى القاهرة يكتب في عدة مجلات ، منها "مصباح الشرق" أصدر قصة عيسى بن هشام عام ١٣٢٥/١٩٠٧ ثم طبعها مرتين في سنوات متتابعة .

تأثر المويلحي بالهمذاني ، فاسمى بطله عيسى بن هشام كما فعل الهمذاني . ورمى الى المويلحي الى غاية اجتماعية + فيتخيل ان احد الباشوات الذين عاصروا عهد محمد علي يرجع الـــــى الحياة من جديد ويعيش في القاهرة . فيظهر المؤلف انفعالاته تجاه العادات الجديدة ، وشعوره ، وموقفه المجدد من المدنية الاوربية ومحاسنها .

وقد لاقى كتابه رواجا عند المصريين في ذلك العصر اذ تكلم عن عادات واختبارات . مر بها معاصروه ، ولذلك نجد انه في عام ١٩٢٤ م — عندما صدرت الطبعة الثالثة قل الاقبال عليها — بتغيير ذوق القارئ الشرقي .

(راجع بلاشير — ص ٥١ " al-Hamadhani Ch oix de Maqamat "

الى ٥٣)

١٣٥١/١٩٣٢ - ابراهيم حافظ (١) كتب ليالي سطيح (نشرة القاهـــرة)

١٣٢٦/١٩٠٨ .

- تأثير المقامة في الاداب الاجنبية -

كان للمقامة أثر كبير في الشرق ، وحاول الكتاب محاكاتها في لغات أخرى ، وأول مـــن تأثر بها ابن الاشتركوى في اسبانيا (ورد ذكره) . وقد تأثر الفرس ايضا بالمقامة ، فكتب حميد الدين البلخي (توفي عام ٥٦٠/ ١١٦٤) أربعا وعشرين مقامة عام ٥٦١/ ١١٦٥ اقتفى فيها آثر الحريـــرى والهمذاني وقد اسماها " جهار مقالة " . وكان فيها انشاء مناظرات ومحاورات مختلفة ، وكان جوهـــر المقامة ثانويا بالنسبة للصناعة والتفنن في السبك . طبعت هذه الاثار في طهران ، ومنها نسخــــة بالمكتبة الحسينية بالمدينة المنورة مكتوبة بالفارسية ، ونسخة أخرى ترقى الى عام ٦٨٨/١٢٨٩ . (٢)

وهناك عبد يشوع المتوفي عام ١٣١٨/ ١٩٠٠ ، وهو أحد سكان نصيبين ، صنــــع بين عامي ١٢٩٠/١٨٧٣ و ١٢٩١/ ١٨٧٤ خمسين قصيـــدة في السريانية ، حاكى فيها طريقــــة الحريرى ، وأوردها مورد العظة والتمسك بالدين وجعلها قسمين

(١) Henoch (٢) Elie

---

(١) حافظ ابراهيم - ولد حوالى ١٢٨٨ / ١٨٧٢ وتوفي عام ١٩٣٣م -

(٢) بروكلمن - ~~الموسوعة~~ الموسوعة ٣ : ١٧٢ - سلطان فن القصة والمقامة ص٥٣ والصديقي ابن الحريرى ومقاماته ص١٠٣

وتعمد الاغراب والتعسف في اللغة وعاد عام ١٣١٦/١٨٩٨ فشرح ذلك كله بنفسه شرحا وافيا - نشره جبرائيل قرداحي عام ١٨٩٨ م في بيروت . (١)

وفي اللغة العبرية نجد ان شليمو الحريزى (المتوفي في اوائل القرن الثالث عشر م) ترجم مقالات الحريرى الى العبرية ثم ألف خمسين مقامة اسماها "سفر تحيكموني" حيث نجد ان الراوية سبحان الازراحي ، يروى ملاقاته مع شخص فقير ولكنه ذو علم وخير اسمه الحاكيني . (٢)

وهناك اديب الممالك وهو صحفي فارسي توفى عام ١٩١٧ م . ألف مجموعة من المقامات ما تزال مخطوطة فيما خلف المستشرق الانجليزى براون .

وهناك المقامة الشامية الكافورية في وصف المعابد الالورية ، ومقامة الخطبة العقابية على المغارة المسكنية ، لمحمد باقر المتخلص آكا ، توفي عام ١٢٢٠/١٨٠٥ ، ثم المقامة الاركانية والحيدرابادية ، وكلها فارسية . (٣)

هكذا تلا تركت مقامات الحريرى اثرا كبيرا في الشرق والغرب ، فظهر مقلدون عديدون للحريرى وهم - مع اختلاف معالجتهم للمقامة واختلاف مواضيعهم - بنوا ما الفوه على نمط الحريرى على تفاوت في الاداء . وانه لمن العجب حقا ان تكون مقامات الهمذاني قد أفل نجمها مدة قرون عديدة ولم يطبع ويحلل منها الا القليل ، وان تطير شهرة المقامات الحريرية ، ويتسع نطاق تأثيرها على نحو ما تبين .

---

(١) بروكلمن - الموسوعة ٣ : ١٧٢ - سلطان فن القصة والمقامة ص ٥٣ والصديقي ابن الحريرى ومقاماته ص ١٠٣

(٢) المراجع نفسها

(٣) بروكلمن - الموسوعة الاسلامية ٣ : ١٧٢ وسلطان فن القصة والمقامة - ص ٥٤

تناولنا في بحثنا الحريري ومقاماته اهم المواضيع التي تمت الى البحث بصلة . فعرضنا في المقدمة سرعا للحالة السياسية والاجتماعية والادبية في ذلك الزمن ، ثم تحدثنا عن نشأة المقامة ، واتبعنا الحديث ببحث عن الحريري نفسه .

وجعلنا مرتكز البحث مقامات الحريري نفسها ، فعالجنا فروع موضوعاتها ومضمونها ، ودرسناها من حيث هي انتاج ادبي خالص . وفي هذا الباب حللنا ماهية الاشخاص في المقامات ثم الاحداث ، والعقدة ، وتطور الزمن الداخلي ، لنقارن ما بين القصة والمقامة ، وافردنا كلاما خاصا لعنصر الفكاهة فيها . وفصلا آخر في التصوير الفني للمقامات واهتممنا باسلوب الحريري في منثوره ومنظومه وعولنا اخيرا على شواح المقامات ومنه على استمرار هذا الفن وعناية الادباء بتقليده .

فعسى ان يصادف بعضنا في هذه الدراسة اهتماما لدى القارئ ، وان يكون في الجهود التي بذلنا ما اسعف على ايضاح جوانب من هذا الاثر الادبي .

الحريــــــري و مقــامـاتـــــــــــــــــه

الأصـــــول والمراجـــــع

١ ـ ابن الأثـــــير ـ الجزرى محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني

" الكامل في التاريخ " المطبعة المنيرية ١٣٤٨/١٩٢٩

" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " تحقيق محمد محي

الدين عبد الحميد ،طبعة مصر ١٣٥٨/١٩٣٩

٢ ـ ابن الانبـــارى ـ أبو البركات عبد الرحمن بن محمـد

" نزهة الألباء في طبقات الأدباء " طبعة مصر ١٢٩٤/١٨٧٧

٣ ـ ابن خلـــكان ـ " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " (طبعة أولـــى)

مكتبة النهضة المصرية ،١٩٤٨ م

٤ ـ ابن دريــــد ـ " كتاب جمهرة اللغـة " (طبعة أولـــى)

حيدر أباد ١٣٤٥/١٩٢٦

٥ ـ أبن قتيبـــة ـ أبو محمد عبد الله بن مســلم

"عيون الأخبار" (طبعة أولـــى)

دار الكتب،القاهرة ١٩٢٨ م

٦ ـ ابن منظـــور ـ أبو الفضـل محمد بن مكرم

"لسان العرب" دار صادر ،بيروت ١٩٥٦ م

(مادة مقامة ـ ١٢: ٥٠٦) (مادة كد ـ ٣ : ٣٧٨)

٧ ـ ابن النديـــم ـ " الفهرســـت " المطبعة الرحمانية ،مصر ١٣٤٨/١٩٢٩

٨ ـ الأزدى ـ محمد بن أبي أحمـد المطهـــر

" حكاية أبي القاسم البغدادى "

طبع ،مطبعة كارل ونتر في هيدلبرغ ١٩٠٢

٩ ـ آمين أحمد ـ " ظهر الاسلام "

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٤/١٩٤٥

١٠ ـ بادشاه محمد ـ " قاموس فرهنك آمنذراج "

(مادة : كد)

١١ ـ بدرسن ج ـ " دائرة المعارف الاسلامية " القاهرة ١٩٣٣

" المادة " ابن دريد " ١ : ١٥٩

١٢ ـ برستون تيودور ـ المقامات (الترجمة الانكليزية) لندن ١٨٥٠

١٣ ـ البستاني بطرس ـ " دائرة المعارف " مطبعة المعارف بيروت ١٨٨٣ م

(١) المادة : ابن الخشاب ١ : ٤٥٩

(٢) المادة : " الحريرى " ٨ : ١٧

(٣) المادة : " مقامة " ٧ : ١٢

" محيط المحيط " بيروت ١٢٨٦/١٨٧٠ م

المادة : " كد " ٢ : ١٨٠

١٤ ـ البغدادى ـ عبد القاهر بن طاهر

" الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية عنهم "

وقف على طبعه و ضبطه محمد بدر ـ مطبعة المعارف

القاهرة ١٩١٠ م

١٥ ـ بوخـــــز ـ " دائرة المعارف الاســـــلاميــة "

(المادة : الساسانيون ١١ : ٤٧)

١٦ ـ بلســـنر ـ " دائرة المعارف الاســـــلامية "

(المادة :" ســروج " ١١ : ٣٨٠)

١٧ ـ بلاشـيره راجيس ـ " دراسة في تطور كلمــة مقامـــة "

مجلة المشرق عدد ٤٧ ج ٥ ص ٦٤٦ بيروت سنة ١٩٥٣ م.

١٨ ـ التبريزى ، محمد حسن ـ " كتاب برهان قاطــع "

نشره محمد معين في طهران ١٣٣٦/١٩٤٣ م خورشيدية

شمسية

١٩ ـ تســترشـــتين ـ " دائرة المعارف الاســلامية "

(المادة : ابن صدقة ١ : ٢١١)

٢٠ ـ الثعالبـــــي ، منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل

("يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر "

المطبعة الحفنية ، دمشق ١٣٠٣/١٨٨٥ م

" الاعجاز والايجـــاز "

التزم شرحه و طبعه اسكندر آصاف ، القاهرة ١٨٩٧ م

٢١ ـ الجاحـــــظ ، أبو عثمان عمرو بن بحـــر الجاحــظ

" البخلاء " مكتبة العرفان بيروت ١٩٥٥م.

" البيان والتبيين "

تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون (الطبعة الأولى)

مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٤٨ م.

٢٢ - جمعة ،أبو ابراهيم - "أبو زيد السروجي ،الأديب المختال بالثوبين والعكازة والجراب"
مكتبة النهضة ،مصر ١٩٤٩م
" مقامات الحريرى وتصويرها في العراق "
مجلة الكتاب ،المجلد ٢ج ٨ ص ٢٦٣ ،مصر ١٩٤٦م
" يحي بن محمود الواسطي مصور مقامات الحريرى"
مجلة الثقافة عدد ٦ : ١٧ ،مصر ١٩٣٩ م

٢٣ - حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله - " كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون "
حرره مع ترجمة الى اللاتينية فوستاف فلوغل ،لندن بنتلي ١٨٣٥م

٢٤ - حتى فيليب - " تاريخ العرب المطول "
طبعة ثانية ،دار الكشاف ،بيروت ١٩٥٢ م

٢٥ - الحريرى ،أبو القاسم بن عثمان - " الرسالتان السينية والشينية " موجودة في : -
(١) شرح المقامات لسعد محمد علي أحمد (طبعة ثالثة)
مصر ١٩٥٠ م.
(٢) مجلة الضياء ٧ : ٤٩٦ مطبعة المعارف مصر ١٩٠٤ -
١٩٠٥ م.
" درة الغواص في أوهام الخواص "
مطبعة الجوائب ،قسطنطينية (طبعة أولى) ١٢٩٩/١٨٨١
" ملحة الاعراب " دير القمر ،لبنان ١٨٧١م.

٢٦ ـ الحصرى ، أبو اسحق بن ابراهيم ـ "زهر الآداب وثمر الألبـــاب"
دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٣م.

٢٧ ـ الحنبلي ، ابن عماد أبو الفلاح عبد الحـــي بن أحمــــد
" شذرات الذهب في أخبار من ذهب "
مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ـ١٣٥١/١٩٣١ـ١٩٣٢

٢٨ ـ خلف الله ، محمد ـ " أدب الفكاهة في التأليف العربي "
مجلة الثقافة ، السنة الثالثة ، العدد ٤٠١ ج ٣ : ١٦
عام ١٩٤٧م.

٢٩ ـ خليفـة ، حســـن ـ " الدولة العباسية ، قيامها و سقوطها "
(طبعة أولى) المكتبة المصرية ، يناير ١٩٣١م

٣٠ ـ خسروه ، ناصر علـــوى ـ " سفرنامــــه " ترجمة يحي الخشــــاب
(الطبعة الأولى) القاهرة مطبعة لجنة التأليف و الترجمة
و النشــر سنة ١٩٤٥م.

٣١ ـ خورشـــــــــيد ـ " ترجمة Wicdmant E. "
دائرة المعارف ٩ : ١٧
المادة : "الخوارزمـــي "

٣٢ ـ الخوانساري ، محمد باقر بن جعفر ـ " روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات"
(طبعة ثانية) سعيد الطبطبائي ـ طهران ١٣٦٧/
١٩٤٧م.

٣٣ ـ داعي الاسلام ، محمد ـ " قاموس فرهنك نظام "
المادة " كد "

٣٤ ـ داغر ، يوسف أسعد ـ " مصادر الدراسة الأدبية"
مطبعة دير المخلص ، صيدا ، لبنان ١٩٥٠م

٣٥ ـ دساسي ، سلفستر ـ " شرح المقامات الحريرية "
طبع في مدينة باريس ، دار الطباعة الملكية عام ١٨٢٣م

٣٦ ـ الرافعي ، مصطفى صادق ـ " نشأة المقامة "
مجلة المشرق ، السنة ٢٨ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٦ بيروت ١٩٣٠م

٣٧ ـ الزبيدي ، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي
" تاج العروس من جواهر القاموس"
المطبعة الخيرية ، القاهرة (طبعة أولى) ١٨٨٨/١٣٠٦
المادة " كد " ١٠ : ٣١٠ ـ ٣١١

٣٨ ـ الزيات ، عبده حسن ـ" موازنة بين مقامات الحريري و مقامات البديع "
مجلة الحديث ٢ : ١٤٣ـ١٦٢ ، حلب ١٩٢٨م.

٣٩ - زيدان ؛ جرجي - " تاريخ آداب اللغة العربية "
مصر ؛ دار الهلال ١٩١٣ م

٤٠ - السبكي ؛ تاج الدين عبد الوهاب بن علي
" طبقات الشافعية الكبرى "
الطبعة الأولى ؛ المطبعة الحسينية ؛ القاهرة ١٣٢٤ هـ

٤١ - سركيس ؛ يوسف - " معجم المطبوعات العربية و المعربة "
الحريرى ٤ : ٧٤٨
مطبعة سركيس ؛ شارع قصر اللؤلؤة ؛ مصر ١٣٤٧/١٩٢٨

٤٢ - سعد علي ؛ أحمد - " شرح المقامات الأدبية الحريرية مع ثلاث رسائل "
شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده
الطبعة الثالثة ؛ مصر ١٩٥٠ م

٤٣ - سلطان ؛ محمد جميل - " فن القصة و المقامة "
منشورات جمعية التمدن الاسلامي ؛ مطبعة الترقي
دمشق ؛ ١٣٦٢/١٩٤٣

٤٤ - السيوطي ؛ جلال الدين عبد الرحمن
" بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "
طبعة أولى ؛ مطبعة السعادة ؛ مصر سنة ١٣٢٦/١٩٠٨م

٤٥ - الشريشي ؛ أبو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي
" شرح المقامات " المطبعة الكبرى المصرية ببولاق
مصر ١٣٠٠ هـ (الطبعة الثالثة) .

٤٦ ـ شيبوب ، خليـــــل ـ " مقامات الحريري و ترجمتها الى اللغات الاوربية "
مجلة الثقافة ، السنة ٣ : ١٣٩٣ العدد ١٤٨
١٣٦٠هـ/١٩٤١م

٤٧ ـ صبحـي ، سعيــد ـ " دائرة المعارف الاسـلامية "
المادة " السلاجقة " ١٠ : ٢٤

٤٨ ـ الصديقي ، محمد أحمد ـ " ابن الحريري و مقاماتـــه "
جامعة حيدر آباد ، ١٩٥٣م

٤٩ ـ ضيف ، شـــوقي ـ " المقامـــة " دار المعارف القاهرة شباط ١٩٤١
" الفن و مذاهبه في النثر العربـــي "
طبعة أولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٥/١٩٤٦م

٥٠ ـ طليمات ، غالـب ـ " أهل الكدية أبطال المقامات في الأدب العربي "
دار ابن الوليد ـ حمص في ٢٠/٦/٩٥٧

٥١ ـ عبـود ، مـــارون ـ " بديع الزمان الهمذانـــي "
دار المعارف ، بيروت ١٩٥٤

٥٢ ـ علام مهـــدى ـ " دائرة المعارف الاسـلاميـة "
المادة : " دبيس ابن صدقة " ٩ : ١٤١

٥٣ ـ عماد الدين الأصفهاني ـ " خريدة القصر و جريدة العصر "
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥/١٩٥٥
حققه و ضبطه بهجت الاثرى

٥٤ - غونزاليس ،بالنثيا آنجل جنالث

" تاريخ الفكر الأندلسي "

نقله عن الاسبانية حسين مؤنس (طبعة أولى)

مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة مايو ١٩٥٥م

٥٥ - القالي ،أبو علي القاسم القالي البغدادى

" الأمالي " مطبعة بولاق ١٣٢٤

٥٦ - القفطي ،جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف

" أنباه الرواة على أنباه النحاة "

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،مطبعة دار الكتب

القاهرة ١٩٥٥/١٣٧٤

٥٧ - قربان توفيق - " الحريرى " مجلة الكلية ١٨: ٨ ،١٩٣٢م

٥٨ - الكتبي ،محمد بن شاكر بن أحمد

(فوات الوفيات)

حققه محمد محي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة

مصر ١٩٥٥ م.

٥٩ - الكك فكتور - " بديعات الزمان "

المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١م

٦٠ - كورمونيللي - مجلة الاداب " فيزولوجية القصة " ٢ : ٧٣

العدد الأول

دار العلم للملايين - بيروت كانون الثاني ١٩٥٤م

٦١ - مبارك زكـــــي -" النثر الفني في القرن الرابـــع "
(طبعه أولى) مطبعة الدار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٣
مجلة المقتطف " اصلاح خطأ قديم مرت عليه قرون في نشأة
المقامات " ، مجلد ٧٦ عدد ٤ ، ٤١٨ سنة ١٩٣٠م
مجلة المقتطف " أحاديث ابن دريد و مقلدها بديع الزمان "
مجلد ٧٦ ، ٤ : ٥٦٣

٦٢ - مــتز ، آدم -" الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى "
نقله الي العربية محمدعبد الهادى أبو زيدة
(طبعة ثانية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـــر
القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧م

٦٣ - مرجليوث د .س -" دائرة المعارف الاسلامية "
المادة ، الحريرى ، ترجمة الشنتناوى ٧ : ٣٦٥-٣٦٦

٦٤ - المســـــعودى -" مروج الذهب " طبعة باريس ١٨٦١ - ١٨٧٦م

٦٥ - معجم فرهنك نفيس -

٦٦ - المغربـــي عبد القادر - مجلة المجمع العلمي العربي " طرفة أدب من آداب العرب"
ج ٣ مجلد ص١١ سنة ١٩٢٥م ، مطبعة البطريركية الارثود وكسية
في دمشق سنة ١٩٢٥

٦٧ - المقدسي ، أنيس -" تطور الأساليب النثريـــة "
دار العلم للملايين بيروت - ١٩٦٠م

٦٨ ـ المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر

(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "

نشر دعفوية ليون ، مطبعة بريل ١٨٨٧م

٦٩ ـ المنجد ، صلاح ـ " الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس "

مطبعة الرسالة ، دمشق (لا تاريخ)

٧٠ ـ المويلحي ، محمد ـ " حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن "

الطبعة السابعة مع الرحلة الثانية ، دار المعارف ١٩٤٧

٧١ ـ نجم محمد ـ " فن القصة "

دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٥م

٧٢ ـ الهمذاني ، أبو الفضل بديع الزمان

" المقامات "

(الطبعة الثالثة) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٨م

٧٣ ـ الواسطي ، كمال الدين ـ " شرح المقامات الحريرية "

تاريخ النسخ ١١٣٩/١٧٢٦ نسخها احمد بن عوض

المكتبة الحسينية ، المدينة المنورة ـ مخطوط مؤرخ

١١٣٩هـ/١٧٢٦م.

٧٤ ـ اليازجي ، ناصيف ـ " مجمع البحرين "

المطبعة الأدبية ـ بيروت ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م

٧٥ ـ ياقوت الرومي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله

" ارشاد الاريب الي معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء
أو طبقات الأدباء "

اعتنى بنسخه مرجليوث ـ مطبعة هندية بالموسكي
مصر ١٩٢٣ الي ١٩٢٦م

" معجم البلدان "

دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣١٦/١٩٥٧

ـ

المراجع الاجنبيـــة

1- Allen Walter - "Reading a Novel", London, Phoenix House 1949

2- Bergson Henri - "Le Rire" - Presses Universitaires de France - Paris 1946.

3- Blachère, Regis et Pierre Masnou - "Etudes Arabes et Islamiques", Al-Hamadhani - Choix de Maqamat (Séance) Paris - Librairie C. Klinksiek, 1957.

4- Brockelmann, Carl - "Geschichte Der Arabischen Litteratur" Leiden E.J. Brill

5- - "History of The Islamic People" London, 1949.

6- Comfort Alex - "The Novel and Our Time" - London - Phoenix House 1948.

7- Demombynes, Gaudefroy et Platonov." Le Monde Musulman et Bysantin Jusqu'au Croisades" Paris 1931.

8- Browne Edgar G. " A Literary History Of Persia" Cambrige, University Press 19

9- Encyclopedia Britannica, London, 1957.
Thatcher. G.W. "Hariri" 11: 197.

10- Encyclopedia Of Islam,
Ben Cheneb M. "Al-Kali" 2: 693.

11- Brockelmann C. "Makama" 3: 161.

12- Brockelmann "Ibn al-Djawzi" 2: 372.

13- Buchner - "Sassanians" 4: 181.

14- Houtsma M. - "Tugril Bey" 4: 827.

15- Kratchowsky - "Yazigi Nasif"" 4: 1234.

16- Margoliouth D.S. - "Al-hamadhani" 2: 242.

17- Margoliouth D.S. - "Al-Hariri" 2: 268.

18- Pedersen J. - "Ibn Duraid" 2: 374.

19- Plessner M. - "Sarudj" 4: 176.

20- Zetterstein K.V. "Ibn Sadaka" 2: 414.

21- Weidmant E. - "Al-Khawarizmi" 2: 912.

المراجع الأجنبية

1- Allen Walter - "Reading a Novel", London, Phoenix House 1949

2- Bergson Henri - "Le Rire" - Presses U niversitaires de France - Paris 1946.

3- Blachè re, Regis et Pierre M asnou - "Etudes Arabes et Islamiques",
Al-Hamadha ni - Choix de Maqamat (Séance)
Paris - Librairie C. Klinksiek, 1957.

4- Brockelmann, Carl - "Geschichte Der Arabischen Litteratur" Leiden E.J. Brill 1937.

5- - "History of The Islamic Peoples" London, 1949.

6- Comfort Alex - "The Novel and Our Time" - London - Phoenix House 1948.

7- Demombynes, Gaudefroy et Platonov." Le Monde Musulman et Bysantin Ju squ'au x Croisades" Paris 1931.

8- Browne Edgar G. " A Literary History Of Persia" Cambrige, University Press 1928.

9- Encyclopedia Britannica, London, 1957.
Thatch er. G.W. "Hariri" 11: 197.

10- Encyclopedia Of Islam,
Ben Cheneb M. "Al-Kali" 2: 693.

11- Brockelmann C. "Makama" 3: 161.

12- Brockelmann "Ibn al-Djawzi" 2: 372.

13- Buchner - "Sassanians" 4: 181.

14- Houtsma M. - "Tugril Bey" 4: 827.

15- Kratchowsky - "Yazigi Nasif"" 4: 1234.

16- Margoliouth D.S. - "Al-hamadhani" 2: 242.

17- Margoliouth D.S. - "Al-Hariri" 2: 268.

18- Pedersen J. - "Ibn Duraid" 2: 374.

19- Plessner M. - "Sarudj" 4: 176.

20- Zetterstein K.V. "Ibn Sadaka" 2: 414.

21- Weidmant E. - "Al-Khawarizmi" 2: 912.

المراجـع الاوروبيـــــة

22- Forster, E.M. "Aspects of the Novel" N.Y. , 1927
23- "Art of Fiction" Oxford" Press, 1948.
24- Liddell, Robert "A Trea tise on the Novel", London 1953.
25- Malcom, Sir Jhon "The H istory of Persia" London, Murray 1815.
26- Minorsky V. "La Deuxieme Risala d'Abu- Dulaf"
Oriens 5: 23 - 27 , 1952.
27- Pellat, Charles "Le Milieu Basrien et la Formation de Gahiz"
Paris, Adrien, 1953.
28- Preston, T. "Maqamat Hariri" London, 1850.
29- Ritter, Helmut "Hariri" Oriens 6. Leiden, 1953.
30- Prichett V.S. "The Living Novel" New York, Raynal and Hitchcock, 1947